مَنَاهجُ
الفِكْرِ الحَضَاريِّ وفِقْهُهُ
في الإسلام

بحث علميٌّ موثَّق مقدَّم إلى مجمَع الفقه الإسلامي الدَّولي بجدة في دورته المجمعية الثامنة عشرة في ماليزيا

1428 هـ - 2007 م

تـأليــف

الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

رئيس المَجْمَع العلمي العالي للدراسات والأبحاث بدمشق

عضو مَجْمَع الفقه الإسلامي الدَّوْلي بجدة

رئيس مُجمَّع الأقصاب الإسلامي بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كله ، ولك المجد كله ، ولك الثناء كله أهلَ الثناء والمجد سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم اجعل أزكى صلواتك وأتم تسليماتك وبركاتك على عبدك ورسولك وسيد عبادك وأشرف مخلوقاتك وخاتم رسلك وأنبيائك سيدنا ومولانا محمد رسول الله وخاتم النبيين الرحمة المهداة للعالمين وعلى سائر إخوانه من الأنبياء سيدنا إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين وعلى آلهم الطيبين الطاهرين وصحابتهم الميامين ، وصل اللهم على من أرسلته رحمة للعالمين والذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه إلى يوم الدين .

اللهم إني أبرأ إليك من فتنة القول وفتنة العمل ، وأعوذ بك اللهم من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن دعوة لا يُستجاب لها اللهم إني أبرأ إليك من علمي وعملي وحولي وطولي وقوتي إلى حولك وطولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ؛

*** *** ***

(1)

ساعة أمسكتُ بالقلم لأكتب طالعة هذا الكتاب أخذتني رهبة الموقف وعِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقي أمام الله جل شانه أولاً ثم أمام هذه الأمة والتاريخ ثانياً ؛ وإذا غفر الله سبحانه وهو الغني ذو الرحمة فالأمة لن تغفر ، والتاريخ لن يرحم . . .

وتأسيساً على ذلك فإن الحديث في شؤون الفكر الحضاري في الإسلام وقضاياه وهو موضوع الكتاب وهو وأيم الحق ليس كأي حديث آخر نُزجي به الوقت حتى إذا ما دعا الداعي إلى وقفة مع الحق ذهبنا في حسن التخلص والتأويل كل مذهب شأن كثير من دهاقنة السياسة ، بل إن هذه الشؤون والقضايا الأساسية على ضوء هذا الفقه الكبير بل الفقه الأكبر هي من لُباب الإسلام وجوهره ؛ هي القضايا الكلية للفقه الحضاري في الإسلام جمع بعضها إلى بعض حتى إذا انصهرت وباتت سبيكة من الذهب .

صيغت في هذا الكتاب صياغة جديدة لتصبح علماً مقعداً له أصوله ومناهجه وضوابطه فكان بحق البوابة الكبرى لفهم الشريعة الإسلامية وأصولها وقواعدها وأسرارها .

*** *** ***

(2)

هذا ؛ وإن الصراع الدائر اليوم بين الإسلام والجاهليات المختلفة صراع مرير ما عرف التاريخ له مثيلاً من قبل ، اللهم إلا في فجر الدعوة الإسلامية وانبثاقها من هضاب مكة المكرمة إلى جزيرة العرب ثم إلى بلاد الشام فالعالم القديم ، وهذا الصراع لا يزال يشتد ويسيطر ويتأجج أواره تبعاً لتطور الهجمة الشرسة على هذه الأمة من أعدائها ، وقد ثبت يقيناً بما لا يقبل الشك أن الإسلام هو النظام الإلهي الوحيد في العالم الذي يتمرد على كلّ هجوم كاسح وينتصر عليه ، فكلما اشتدت الهجمة عليه اشتد هو في الصلابة والرد حتى ينتصر في معركته تلك مع الباطل ، ولعل هذه الخصيصة من أبرز خصائصه وأعظمها أثراً .

ولقد مر بالعالم الإسلامي من قبل ليالٍ سود مدلهمات انحسر فيها المد الإسلامي انحساراً مشهوداً ، ولكن سرعان ما استرد قوته الذاهبة وانتقل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم المشروع ، والتقى الحق بالباطل فانهار الباطل وظهر الحق فكان النصر الأبلج بإذن الله .

وكتاب الله جل وعلا يشتمل على هذه الرحلة من الصبر إلى النصر ومن الخوف إلى البشارة قال الله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [من سورة الأحزاب[

وقال الله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [من سورة البقرة[.

*** *** ***

(3)

واليوم والعالم الإسلامي يمر بهذه المرحلة الخطيرة لا بد من إعادة النظر في الموروثات لدينا من الوسائل والمقاصد لمجابهة هذا الخطر الداهم الذي يكاد يُودي بمصير الأمة كلها .

ولعل من أبرز القضايا التي تَشغل الباحثين في هذه الحقبة من الزمن قضية الإصلاح والتجديد فلقد ذهبوا فيها كل مذهب من الاختلاف في الشكل والمضمَّن ورد بعضهم على بعض وسفَّه بعضهم آراء الآخرين ، ولم يأت الجميع بما يُغني ويُقني ، وإنما هي أقاويل ليس فيها شيء من البحث العلمي الموضوعي الجادِّ .

فالإصلاح والتجديد موضوعان متكاملان يشكلان معاً قاسماً مشتركاً للفهم الحضاري المعمَّق المتجدد للإسلام بضوابطه ، ذلك الفهم الذي يعتمد مقاصد الشريعة وحكمة التشريع أولاً ثم ينطلق نحو بناء العقل الإنساني بوسطية يندر مثالها في الفكر الإنساني .

فلو أحببنا أن نرى ما صنع الآخرون في هذا الأمر لوجدنا الأمر بين غلو وانحلال ، بين إفراط وتفريط، وما هو بذاك ، فهنالك من يرى حظر البحث في هذا الموضوع جملةً وتفصيلاً ؛ لأنه في نظره سينسف البناء الإسلامي من أساسه فهو لغو من القول لا جدوى من ورائه ، وهنالك من يُحكِّم العقل وحده في هذه المسألة فتأتي النتيجة على غير ما قُصد لها ، إذْ يصبح كل من الإصلاح والتجديد أداتين لتغيير معالم الشريعة باسم الشريعة ذاتها وهذا هو الخطر الأكبر ....

وهنالك من يُلغي العقل ويُوقف أحكامه ، ويكتفي بما لديه من النص من غير فهم ولا إدراك لفقه النص وما وراء النص ،وهذا لا يقل عن سابقه خطراً على الشريعة المحمدية الخاتمة ، فهما طامتان ؛ تأليه العقل ، أو تأليه النص ، وثالثة الأثافي الجمود على المنقولات .

وما أحسن ما قاله الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه : (العقل شارح) أي سراج لابد منه لإضاءة النص ليُصار إلى فهمه على وجه التحقيق ، وهو أسبق علماء الأمة إلى هذه المعاني الثواني والثوالث من روح التشريع حتى جاء من بعده الإمام الشاطبي اللخمي الغرناطي فنسج على منواله وكذلك كل من جاء بعدهما .

(4)

على أن هنالك مفاهيم أخرى ذات بال كالوسطية والاعتدال وما شابه تحتاج كلها إلى صياغة جديدة في منظومة واحدة ، تلكم هي منظومة (الفكر الحضاري في الإسلام) وهو مادة هذا الكتاب، لكنه لمَّا وُضعَت له الضوابط والقواعد والأسس أضحى علماً قائماً برأسه أطلقتُ عليه اسم " علم الفكر الحضاري في الإسلام " وهو علم مركَّب من علوم عدة متكاملة يقف على رأسها (علم أصول الشريعة) وهو أصل الأصول بل هو النابض الحساس في الشريعة الإسلامية ، وعلم أصول الفقه عنصر من عناصره .

على هَدْيٍ من هذا كله يقوم بناء هذا العلم العظيم الذي يكاد لا يستغني عنه باحث ولا كاتب ، وهو بعدُ روح الشريعة ولُبابها ، قديم في مادته جديد في صياغته فهو القديم المتجدد .

ولا يذهبنّ بك الوهم إلى أن تظنّ أنّ ما أسعى إليه هو مذهب جديد في الإسلام ، فمعاذ الإيمان أن نضِلّ وفينا كتاب الله وسنّة نبيّه ، بل ما قصدتُ ‘ليه إنّما هو صياغة جديدة لهذا الذي توصلت إليه من الفهم للقضايا الكلية في الإسلام ، وهذا الفهم الجديد في صياغتهِ القديم في جوهره سميته فكراً حضاريّاً – أي فهماً وإدراكاً ذا صِبغةٍ حضاريّةٍ .

*** *** ***

(5)

أما بعد ،

فتلكم أبرز مقاصد هذا الكتاب لا أدعي فيه أني أتيت بما لم تأت به الأوائل ، لا؛ اللهم غَفْراً، بل هو جُهد مقلٍّ اعتصرته من دراساتي المتأنية للشريعة في مصادرها ومواردها على الأشياخ العظام الأجلاء في مصر ودمشق وبلاد الشام أجزل الله لهم المثوبة .

أما ذلكم الذي يُمدني بدعوة صالحة من وراء سجاف الغيب فهو الذي يطوقني بمنة أسأله تعالى أن يكافئه عني بخير ما كافأ أخاً عن أخيه .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

مخطط البحث

الباب الأول

المنهج العام لعلم الفكر الحضاري وفقهه في الإسلام

المبحث الأول

التعريف بالمنهج

المطلب الأول : التعريف اللغوي

المنْهَاج لغةً : الطريق الواضح ، ومثله المَنْهَج.[1]

جاء في لسان العرب : (طريق نَهْج : بَيِّن واضح ، وهو النَّهْج ، والجمع نَهَجات ونُهُج ونُهوج . وطرقٌ نَهْجةٌ ، وســـبيل منهج كَنَهْج ، ومَنْهَجَ الطريقَ وضَّحَهُ ، والمنهاج كالمنهج ، وفي التنـزيل : ([illegible])] الآية48من سورة المائدة[وأنهج الطريقُ وَضَح واستبان وصار نهجاً واضحاً بَيِّناً ، والمنهاج الطريق الواضح ، واستنهج الطريقُ : صار نهجاً ، ونهجتُ الطريق أبنتهُ وأوضحتُه ، يُقال : اعمل على ما نهجتُه لك ، ونهجتُ الطريق : سلكتُه ، وفلان ينهج سبيل فلان: أي يسلك مسلكه ، والنهج : الطريق المستقيم ، ونَهَج الأمر وأَنْهَجَ ؛ لُغَتَان : إذا وَضَح) .

وجاء في الكليات للكَفَوي : (النهج هو في الاستعمال : الطريق الواضح الذي جرى عليه الاستعمال) .

المطلب الثاني : التعريف الاصطلاحي :

المنهج والمنهاج اصطلاحاً لدى جَمْهَرة العلماء هو : (القواعد والضوابط والأسُس المجتمعة على إيجاد طريق عقلي واضح لدى الباحثين عن معرفة الحقيقة العلمية للوصول إلى المعرفة الحق بها) [2] اهـ .

أو : (المنهج : طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة) [3] .

ذيل البحث :

هذا هو التعريف بالمنهج بشكل عام أي منهج البحث ، ويشمل البحث العلمي ، والبحث التاريخي ، والبحث الأدبي ، والبحث الفلسفي ، وما شابه ذلك .

ولكل بحث مناهجه ، وتختلف هذه المناهج من عِلْم إلى عِلْم ، ومن أمة إلى أمة ، ومن حقبة إلى حقبة ، فهنالك مناهج للبحث لدى العلماء المسلمين ، ومناهج للبحث لدى العلماء الأوربيين ، ومناهج للبحث عند العرب ، ومناهج للبحث لدى علماء اليونان ، ومناهج للبحث في أوروبا في القرن السابع عشر مثلاً ، أو في

---

1) انظر : (لسان العرب) ج2/ص383 وما بعدها ، و(الكليات) للكفوي ج4/ص375 .

2) هذا التعريف بالحد هو ما وُفِّقْت إليه وهو أقصى غاية الاجتهاد في هذا الموضوع ، وإن كان بعض العلماء عَرَّفوا المنهج بغير ذلك من التعريفات ، ولكنها في غاية الأمر لا تبعد كثيراً عما توصلت إليه في هذا التعريف .

3) انظر : (منهج البحث وتحقيق النصوص) للدكتور يحيى وهيب الجبوري ص 15 وما بعدها ،دار الغرب الإسلامي .

القرن الثامن عشر الميلاديين ، وهكذا تتنوع المناهج بتنوع أصحابها ، ولكلٍّ طرقه ومدارسه .

المطلب الثالث : المنهج لدى المناطقة والمفكرين Method :

سبق القول : (أنَّ المنهج طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة) ، وكانت كلمة (المنهج) تعني لدى الإغريق ومن بعدهم : (البحث أو النظر أو المعرفة) ، وكان لكل فيلسوف منهجه .

والمنهج عند الأوروبيين ظهرت العناية به بوضوح في كتابات المفكرين من فواتح القرن السابع عشر الميلادي ، بحيث تميز القرن السابع عشر بعناية المفكرين فيه بالمنهج أو الطريقة الواجب اتّباعها في البحث العلمي ، والكتب في ذلك كثيرة ، والذي يظهر أن هذا الاهتمام كان وليد انتقال المدنية العربية الإسلامية إلى ديار الغرب ولاسيما أوروبا ، والكتب في ذلك العصر كثيرة .

ومنذ 1620 م ظهر كتـــــــاب (المنطق الجديد) لـ "فرنســيس بيكون" ، ونشـــر "ديكارت" بعده (المقال في المنهج) ، ونشر "أسبينوزا " رسالته في (إصلاح الذهن) ، وأصدر "تشرنهاوس" (طب العقل)، ونشر الفيلسوف "بول رويال" منطقه المسمى (فن التفكير) ، ونشر "مالبرانش" كتابــــه (البحث عن الحقيقة) ، وألف "ليبتنـز" كتاباً من عدة رسائل وقع في عنوان بعضها لفظ (المنهج) .

و للفيلسوف الألماني "كانت" مكانةٌ في علم (المنهج) ؛ الذي هو جزء من المنطق ، يدرس مناهج المعرفة المختلفة ، ومناهج العلوم بخاصة .

وكانوا قد عَرَّفوا منهج العلوم الرياضية بالمنهج الاستدلالي ، ومنهج العلوم الطبيعية بالمنهج التجريبي ، ومنهج العلوم التاريخية بالمنهج الاستردادي ؛ وهو منهج حَدْسي .

وعلى هذا فالعناية بالمنهج أصبحت تتضح أكثر وأوضح كلما تقدم الزمن ، حيث بدأت معرفة الإنسان للمنهج قديمة ، وبدأت بسيطة ساذجة ثم تطورت ونضجت ، وأصبح لها أسس وقواعد ، ووَجد الإنسان في المنهج أنه ييسر له طريق المعرفة ويوفر له الجهد والعناء ، وكلما تقدمت الحضارة وازدهرت المعرفة ونما العلم كانت الحاجة إلى المنهج أشد ، وكان للمدنيات القديمة مناهجها التي يَسَّرت لها سُبل المعرفة والتقدم ، ولقد حفل القرن التاسع عشر بعناية خاصة بالمنهج ، وتجاوزت هذه العناية الفلسفة والعلوم البحتة إلى التاريخ وأصوله ، والأدب ونقده ، ووُضع لذلك مناهج متعددة [1].

المطلب الرابع : المنهج لدى جمهرة علماء المسلمين :

---

[1] انظر : (منهج البحث وتحقيق النصوص) ص 15 وما بعدها . وكتاب (ديكارت) للدكتور عثمان أمين ، ط 4 القاهرة ص 15 وما بعدها .

عَرَّف بعض الباحثين المنهج بقوله : (المنهج هو الطريقة التي تضمن للباحث أن يصل إلى الحق الذي يبتغيه ، ولا يضلّ في السعي إليه بين السبل المتشعبة ، ولا يلتبس الباطل عليه بالحق فيركن إليه ظاناً أنه الحق الذي يبحث عنه ويسعى إليه) .

ومن خصائص المنهج لديهم أنه يُكتشف اكتشافاً ، ولا يبدعه الباحثون والعلماء إبداعاً ، فهو حقيقة ثابتة تركن إليها العقول وتتعامل معها الفطرة الإنسانية ، دونما حاجة إلى إخضاع العقول للركون إليها ، أو تربية النفوس على الاستئناس أو الأخذ بها ، فمن أبرز شروط سلامة المنهج أن يكون له وجود ذاتي أصيل في النفس الإنسانية ، وليس للفكر مطلقاً أمامه إلا الرصد ، ثم الاكتشاف ، ثم الصياغة والتقعيد ، أما الإبداع فلن يكون المنهج ثمرةً له مطلقاً . . .

فالإنسان إذاً لدى هؤلاء العلماء بحاجة إلى أن يرصد خطوات هذا المنهج في أغوار فكره ، وأن يتلمس آثارها في طيات نفسه ، ثم يصوغها في عبائر دقيقة ، ويصبها في قواعد منضبطة ، ثم يجعل منها مصباحاً في طريقه إلى المعرفة .

لكني أرى أن ما ذهب إليه هؤلاء المحققون من العلماء فيه نظر . . . فالمنهج ليس ما تدعو إليه الفطرة الإنسانية ، وما تُقِرُّ بِه العقول السليمة فحسب ، فهذا جزء من المنهج ، ولكن الأمر يعدو ذلك ويزيد عليه .

فالمنهج هو مزيج متكامل من أمور ثلاثة ؛ امتزجت ثم تفاعلت ، فتولد منها هذا الذي ندعوه منهجاً أو طريقةً للبحث :

الأمر الأول : مجموعة الحقائق الإنسانية التي تناقلتها الأجيال ، وتوارثتها الأمم ، وتعارف عليها المجتمع الإنساني قاطبةً .

والأمر الثاني : ما وُجِدَ وترسَّخ في طوايا الفكر الإنساني ، ومعين الفطرة الإنسانية الأصيلة ؛ من الأصول ، والبدهيات ، والمسلمات ، والمعارف الإنسانية الأولى .

والأمر الثالث : القواعد العامة للمنطق بنوعيه ؛ الصّوري ، والمادي معاً ، بصياغته الدقيقة الشاملة .

وتأسيساً على هذا يكون المنهج العلمي المجرّد في التصور الإسلامي هو : (الحقائق الإنسانية الموروثة، والبَدَهِيَّات ، والمُسَلَّمات ، والمعارف الإنسانية الأولى ، والقواعد العامة للمنطق) وهو ما أرجحه من التعريفات .

المبحث الثاني
المنهج الجامع للبحث في علم الفكر الحضاري

إنه لمن البدهيات المسلمات في هذا العصر - لدى عامة الذين ثقِفوا شيئاً من العلوم الإسلامية بعامة ، وأصول الفقه الإسلامي ، وفلسفة التشريع الإسلامي بخاصة - أنَّ المَقْصِدَ الأكبر للتشريع الإسلامي هو : (جَلْبُ المصالح العامة للناس ، ودَرْءُ المفاسد عنهم) هذا هو المِحْوَرُ الرئيسُ، والمَدَارُ الذي تدور عليه مقاصدُ

الشريعة ، وأحكامُها ، وعلومُها ، وما يتبع ذلك من فكر إسلامي، وشرح وتأويل ، وإذا كان هذا الوضعُ الإلهيُّ للإسلام قد كَفِل بهذه الكلية من كلياته الكبرى سعادةَ الناس في الدارين وإقامة المجتمع الإسلامي الإنساني المتماسك ؛ فإن ذلك لا يتحقق على أرض الواقع إلا بإقامة بناءٍ حَضَاريٍّ جديد للأمة العربية الإسلامية على غرار بِنَائها النَّبويِّ الأول، بناءٍ قويٍ راسخٍ متماسكٍ ؛ أصله ثابتٌ في الأرض ، وفرعُه في السماء ، تقوم لِبِنَاتُهُ على أسسٍ وأركانٍ ؛ يَضْبِطُها مِعْيارٌ تكون من بَعْده ثمراتٌ و ثمراتٌ . . .

المطلب الأول : الدين الحقُّ ؛ أسُّ البناء الحضاري الجديد للأمة :

فالأُسُّ في هذا البناء الحضاري الجديد للأُمّة هو الدّين الحَقَّ - أي الصحيح - بمقولاته الوَسَطية المعتدلة ، وشروحه ، وتأويله المَرِن ؛ ذلك الذي يُراعي الثَّوابِتَ ، ولا تَنِدُّ عنه المتغيِّراتُ ، كلّ ذلك بلا غلوّ ولا انحلال ، ولا إفراط ولا تفريط ، لا جُمودٍ على المَنْقولاتِ ، ولا تَسَاهُلٍ في فتح باب التأويل فيما يَصِحُّ وما لا يَصِحُّ ، ، لِمَنْ يَحِقُّ له التأويلُ ولِمَنْ لا يَحِقُّ ، هذا هو الإسلامُ بمفهومه العام الذي هو في الأصل دِينُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام - قبل التحريف الطارئ - بقضاياه الكبرى الثلاث ؛ الوحدانية ، والنُّبوة ، والمَعَادُ ؛ ثم هو كذلك بَعْدُ الدين المحمدي العَالميُّ الناسخُ الباقي ما بقيت السماواتُ والأرض ولئن كان البناءُ الحضاريُّ الجديدُ لا يَقوم إلا على أسٍّ وأركانٍ ؛ فذلكم هو الأسُّ والقواعدُ ، وهو الدِّين الحقُّ ذو الأصل السماوي والوحي الإلهي الأعلى .

المطلب الثاني : الأركان الخمسة التي يقوم عليها البناء الحضاري الجديد للأمة :

وأما الأركانُ التي تقوم على القواعد ، وتقوم عليها قُبَّةُ هذا البناء الحضاري فهي خمسة بالاستقراء .

1- الحق ، 2- الفكر ، 3- العدل ، 4- السَّلْم (أي السَّلام) ، 5- وصحة الانتماء ؛ ودونكم التفصيل :

1- فالحق هو الركن الركين في هذا البناء الحضاريِّ الشامخ ، لأن الله تعالى هو الحق ، ودينه الحق ، وأرسل رســـله وأنبياءَه بالحق ، وأنزل القرآن بالحق ، قال الله تعالى :) [illegible] ( ] الآية105من سورة الإسراء[، والله تعالى يقول :) [illegible] ( ] الآية26من سورة ص[.

فكل قضية لا تقوم على الحق فهي قائمةٌ على الباطل ، والباطل زَبَدٌ زائل ،قال الله تعالى :) [illegible] ( ] الآية17من سورة الرعد[، وهكذا حرَّر الإسلام النفس الإنسانية من الباطل

وما يَتْبَعُه من الخرافة والخرافيين، حيث جاء الإسلام حَرْباً على الخرافة ، داعيةً للعلم وإلى الحقيقة المجردة حصْراً .

2- وأما الفكر الإنساني فقد حرره الإسلامُ من التبعية ومن الاستغلال ، وأطلقه من كُبُوْلِه في شتَّى مناحي الحياة الإنسانية حُراً طليقاً فعَّالاً ، فالتفكير في الإسلام عبادةٌ ، وإني لأرَى أنَّ كلَّ تنويرٍ أو إصلاحٍ حضاريّ يجب بَعْدُ أن يقوم أوَّلاً على دين صحيح ، وأن ينطلق من فكرٍ صحيح على يد المفكرين من ذوي الفهم والإدراك ، فهم حُكَماء الأمة وأئمة الفكر فيها ، وهم المؤتمنون على ماضي الأمة ، وحاضرها ومُستقبلِها ، وأجيالها وحضارتِها ، بَلْهَ على وُجُودِها ، وكلُّ نهضةٍ إصلاحية لا تقوم ولا تنطلق من الفكر العلمي الصحيح لا وُجُودَ لها ، ولئن وُجدت فلا بقاءَ لها .

3- وأما العدل من الأركان الخمسة التي يقوم عليها البناء الحضاريُّ الجديد فحسبنا أن الله تعالى مِنْ أسمائه العدلُ ، وأن عَوالمَ السماوات والأرض قامت بالعدل ، فالعدل قوامُ الحياة الإنسانية الراشدة ، وهو قِوامُ الاجتماع والمُلك ، قال الله تعالى : ([illegible]) [الآية 90من سورة النحل]، ومِثْلُ ذلك جاء في الحديث المتفق عليه : ((كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته))[1] ، ولا والله لا يتحقق الإحسانُ حتى يقوم العدلُ ، ولا قيمة لأيِّ وجهٍ من وجوه الخير والمعروف إذا قام على أساس من البغي والعدوان ، ورحم الله تعالى العلامة ابن القيّم الزُّرْعي حيث يقول : (الشريعة عَدْلٌ كلُّها ، رحمةٌ كلُّها ، ومَصَالِحُ كلُّها ، وحكمةٌ كلُّها ، فكلُّ مسألةٍ خرجتْ من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدةِ ، وعن الحكمةِ إلى العبثِ فليست من الشريعة وإن أُدْخِلتْ فيها بالتأويل)[2] .

4- وأمّا السَّلْمُ وهو الركن الرابع من الأركان الخمسة تلك التي يقوم عليها البناءُ الحضاريُّ الجديد فهو السَّلامُ الذي نادى به الإسلامُ ، وحثّ عليه ، وجَعَله من رموز الإسلام الكبرى ، فالله تعالى اسمه السلامُ ، والسلامُ تحيةُ المسلمين فيما بينهم ، وهو تحيةُ أهل الجنة في الجنة ، وتحيةُ الملائكة لهم[3] .

السلامُ جَوْهر الإسلام ، ولُبُّ الحضارةِ العربيةِ الإسلامية الباذخة ، ولا والله لمْ يَعْرِفْ دينٌ من الأديان السماوية ولا الوضعية السَّلامَ كما عَرَفَه الإسلامُ ، ولا عَرَف التاريخُ أرْحَمَ من العرب المسلمين ، ولا أكثر مُسَالَمةً وحباً للشعوب والأمم مِثْلَهُمْ ، قال الله تعالى : ([illegible]) [من سورة الأنفال].

فالسلامُ هو غايةُ هذا الدين الحقِّ ، بل أَحَدُ أركانِه الكبرى ، وخَصِيصَةٌ من خصائصه التي بها عُرِفَ ، وهو دون غيره حَقَّقَها

---

[1] متفق عليه .

[2] انظر : (إعلام الموقعين عن رب العالمين) لابن القيم 3/3 .

[3] حديث **((السلام تحية أهل الجنة))** أخرجه الإمام أحمد في (مسنده) .

على أرض الواقع في ماضيه المُشْرِق ، وسَيُحقِّقُها- إن شاء الله - في قادمات الأيام يوم يفرح المؤمنون بنصر الله .

وهذا - أيْ السلامُ - هو البُعْدُ الإنسانيُّ في ديننا الإسلاميِ الحنيفِ ، نَادَى به في نصوصه المُقدسة ، وعمل به أنصارُه وأتباعُه ؛ منذ فجر الإسلام إلى عصرنا هذا ، ولا والله ما نادى الإسلامُ ولم ينادِ يوماً بإرهابِ للناسِ وترويعٍ لهم ، ولا كان العربُ المسلمون في ماضيهم وحاضرهم ومُسْتَقْبَلِهم يوماً مُرَوِّعين ، بل كانوا رحمةً للناس ، وبركةً على الدنيا ، وحَسْبُكُمْ أن الرسول الأعظم محمداً صلى الله عليه وسلم قال فيه الله عزّ وجلّ : ([illegible])]من سورة الأنبياء[.

ولقد قال الشاعر الإسلامي - العلاّمةُ الوالد رحمه الله تعالى - مُنْشِداً من شعره :

لا أبتغي غارةً شَعْواءَ طاميةً ... يُذكي تأجُّجَها سيفٌ وعَسَّالُ
بلْ أبتغي عَلَمَ الإخلاصِ مُنْتَشِراً ... تَعْنُو لِهَيْبَتِه شِيبٌ وأطفالُ

5- وأما الركن الخامس من أركان البناءِ الحَضاريِّ فهو صحَّةُ الانتماءِ ، ونَقْصِدُ بهذا القول الانتماءَ الصحيحَ إلى العروبة والإسلام في نهج حَميد ؛ يكون فيه الإسلام سَدَىً ، والعروبةُ بِمَفْهومها الحَضَاريِّ لُحْمَةً ؛ لِيُؤلِّفَا معاً نسيجاً مُحْكَماً ، إلى هذه الأرومة وإلى هذا المَحْتِد يكونُ الانتماءُ الحقُّ ؛ ألا وهو الانتماءُ إلى الإسلامِ وعروبةِ الخلفاءِ الراشدين المَهْدِيِّين ، وسَلَفِ هذه الأمةِ الصالحين ، وعلى رأسِهم إمامُ الأنبياءِ والمرسلين ، وزعيمُ المصلحين ، الرسولُ ، العربيُّ ، القرشيُّ ، العالميُّ ، محمدٌ صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه .

فالأمة العربيةُ بالإسلام أنَاطَ الله تعالى بها قيادةَ العالمَ نحو الحقِّ والخيرِ والجَمَال ، وهي لذلك أهْلٌ ، ولأمثالِ ذلك كُفءٌ .

المطلب الثالث : معيارُ قيام البناء الحضاري الجديد للأمة العلمُ الصحيح :

وأما مِعْيَارُ ذلك كلِّه فهو : العلمُ الصحيحُ ؛ القائمُ على المنطق ، وأُصولِ المناظرة ، وطِبْقاً للمنهج العلمي الموضوعي : (إذا كنت ناقلاً فالصحة ، أو مدعياً فالدليل) ، وحَسْبَ قواعد الاستنتاج والاستقراء ، وكما قال الله تعالى : ([illegible])] الآية24من سورة سبأ[.

فالحقيقةِ الدينية لا تتناقض ألْبتَّةَ مع الحقيقةِ العلمية ، فهما وجهان لِعُملة واحدة ، وإذا كان الدين الحقُّ هو الأساس فالعِلْمُ الصحيحُ هو المعيارُ ، وما لا أُسَّ له يَنْهَدِمُ ، وما لا معيارَ له ضائعٌ متهافتٌ .

ولمْ يَعْتَمِدِ الإسلامُ بحضارته العظيمة شيئاً كما اعتمد العِلْمَ ، ولا أَذْعَنَتْ حقائقُه العلميةُ لشيءٍ كما أذعنتْ لِلعِلْمِ الصحيحِ ومقولاتِه ودساتيرِه .

المطلب الرابع : ثمرة قيام البناء الحضاري الجديد للأمة :

وإذا كان لكلِّ أمرٍ عظيمٍ ثمرةٌ عظيمةٌ ؛ فثمرةُ ذلك كلِّه هي : انبثاقُ الحضارةِ العربيةِ الإسلاميةِ الإنسانيةِ الجديدةِ بأبعادها الثلاثة ؛ العربيةِ ، والدينيةِ ، والإنسانيةِ ؛ انبثاقها الجديدُ في دنيا العرب والإسلام أولاً ، ثمَّ في أقطار المعمورةِ ، كما انبثقت من قَبْلُ زمن صدر الإسلام فَعَمَّ خَيْرُها ، وبركاتُها ، وعلومُها ، واكتشافاتُها ، ورَخَاؤها ؛ عمَّ الشرق والغرب ، وما بلغَ الخُفُّ والحافِرُ ، وما وَصَل إليه الليل والنهار .

وخلاصة القول : أن هذه هي معالمُ البناءِ الحضاريِّ الجديد في هذا العصر للأمةِ ، ولحضارتها، مُمَثَّلةً في أسٍّ ، وأركانٍ خَمْسةٍ ، ومعيارٍ ، وثمرةٍ مُباركةٍ ؛

فالأسُّ هو: الدين الحقُّ .

والأركانُ الخمسةُ هي : الحقُّ ، والفكر ، والعدل ، والسَّلام ، وصِحة الانتماء .

والمعيارُ هو : العلمُ الصحيح .

والثمرةُ : هي الحضارة العظيمةُ الشامخة التي سَتُرَفْرِفُ - إن شاء الله - على مشارق الأرض ومغاربها ، من أرض العروبة والإسلام ، وعلى يد أبناء وأحفاد أبي بكرٍ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وعليٍ، ونورِ الدين زنكي ، وصلاحِ الدين يوسف بنِ أيوب .

قال الله تعالى : ([illegible]) [من سورة السجدة] صدق الله العظيم

الباب الثاني

الإسلام والإنسان والحضارة

المبحث الأول

تعريف الحضارة والأسس العامة لقيامها

المطلب الأول : التعريف بالحضارة :

قال المناطقة : (التصديق على الشيء فرع عن تصوره) فما لم تُتَصوَّر الحضارة لن نستطيع أن نصدق عليها ، وذلك بالتعريف ؛ بالحدِّ ، أوالرسم [1].

التعريف اللغوي : الحضارة في اللغة : هي الإقامة في الحضر ، بخلاف البداوة : وهي الإقامة في البَوَادي ، قال القطَّامي :

---

[1] الحد : هو التعريف بالذاتيات ، والرسم : هو التعريف بالعرضيات ، كما يقول المناطقة ، انظر : (**معايير الفكر**) للمؤلف ، ص54 وما بعدها ، دار المكتبي ، دمشق ط1 ، 1416هـ - 1996 م .

ومن تكن الحضارة أعجبته   فأيَّ رجال باديةٍ ترانا ؟ !

واستعمال هذا اللفظ قديم[1] .

التعريف الاصطلاحي : تعود كثير من الباحثين أن يطلقوا لفظ الحضارة على معنى قائم في الذهن دون أن يُفردوه بحدٍّ أو رسم ، أو يخصوه بوضع دون آخر ، وأوّل من أطلق هذا اللفظ على معنى قريب من معناه الحاضر هو العلامة ابنُ خلدون ، ففرَّق في (مُقدمته) بين العُمران البدوي والعمران الحضري ، و جعل أجيال البدو والحضر طبيعية في الوجود ، فالبداوة أصل الحضارة ، والحضارة غاية البداوة و نهاية العمران[2].

وللحضارة عند الفلاسفة المُحْدَثين معنيان ؛ أحدهما : موضوعي مشخَّص ، والآخر : ذاتي مجرَّد .

أ - أما المعنى الموضوعي المشخّص : فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي ، والفني ، والعلمي ، والتقني ، التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد ، أو عدة مجتمعات متشابهة ، كقولهم الحضارة العربية ،والحضارة الأوربية ، وهي بهذا المعنى متفاوتة فيما بينها . . .

ب – وأما المعنى الذاتي المجرَّد : فهو إطلاق لفظ الحضارة على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش ، أو إطلاقها على

---

[1] جاء في **(لسان العرب)** لابن منظور : (والحضر : خلاف البدو ، والحاضر : خلاف البادي) اهـ ، وجاء فيه أيضاً : (الحضارة : الإقامة في الحضر ، عن أبي زيد : وكان الأصمعي يقول : الحَضَارة بالفتح ، . . . والحَضَر والحَضْرة والحاضِرُة : خلاف البادية ، وهي المدن والقرى والريف ، سُميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار) ج 4 ص 197 وما بعدها . وقال ابن فارس في معجم (**مقاييس اللغة)** تحت مادة [حضر] : (الحاء والضاد والراء : إيراد الشيء، وورِوده ومشاهدته ، وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحداً ، وحَضْرة الرجل فِنَاؤه) . وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري تحت مادة [حضر] : (وهو حضريٌ بيِّن الحضارة ، وبدويٌ بَيِّن البداوة ، وهو بدوي يتحضّر ، وهو حَضَري يَتبَدَّى ، وهو من أهل الحَضَر والحاضرة والحواضر) ص 86 .

[2] عرّف (**المعجم الوسيط**) الحضارة ، فجاء فيه : (أنها مظاهر الرقي ؛ العلمي ، والفني ، والاجتماعي في الحضر) وفي (**المعجم الأدبي**) جاء تعريف الحضارة أنها : (التحرر والتقنية الرفيعة ، وأنظمة الاجتماع والسياسة) فهي تشمل عدداً من المجتمعات البشرية ، وجاء فيه أيضاً أنها : (مجموع الخصائص ؛ الاجتماعية ، والدينية ، والخُلقية ، والتقنية ، والعلمية ، والفنية ، الشائعة في شعب معيَّن ، ويتناقلها جيلاً بعد جيل) فهي خاصة بمجتمع ، وجاء فيه أيضاً أنها : (مستوى معيَّن من التِّقنية ، ونوع من الثقافة ، فالتِّقنية هي بِنْيَةُ الحضارة ، والثقافة روحها) .
فمفهوم الحضارة شامل لمعنيين اثنين ؛ الأول : نسبيٌّ معياريٌّ ، والثاني : عامٌّ وشامل .
انظر : (**المعجم الأدبي)** لجبور عبد النور ص 94 وما بعدها ، دار العلم للملايين بيروت ، ط1 ، 1979 م . و(**الإسلام وأزمة الحضارة الإسلامية المعاصرة)** للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري ص 14 .

الصورة الغائية التي يُستند إليها في الحكم على صفات الفرد أو الجماعة ، فإذا اتصف الفرد أو الجماعة بالأخلاق الحميدة المطابقة للغائية قلنا إنه متحضِّرٌ [3] .

تعريف الحضارة كما أراه : بعد أن استقريت تعريفات الحضارة لدى كثير من المفكرين والعلماء الأقدمين والمعاصرين ، واستنبطت بفضل الله وتوفيقه قاسماً مشتركاً أعظماً ، جعلته تعريفاً جامعاً أجزاء وأفراد مُعَرَّفِهِ ، ومانعاً من دخول غيره عليه وهو :

(الحضارة : تطور فكري وروحي ومادي معاً ، لأمةٍ من الأمم ؛ أفرادٍ وجماعات ، عبر العصور ، يقتضي ؛ إسعاد الإنسان ، وتحقيق خلافته وسيادته على هذا الوجود في الدنيا ، وتحقيق الفوز والقرب من الخالق العظيم في الآخرة) .

المطلب الثاني : عناصر الحضارة الإنسانية :

في التعريف المختار للحضارة يتبين لنا أن عناصر الحضارة الحق بشكل عام خمسةٌ هنَّ :

1- المدنيةُ المادية العالية ،2- والعقلانية المحكَّمة ،3- والنّزعة الخُلقية الراقية ، 4- والنفحة الروحيّة السامية ،5- والمنهج الرباني الشاملُ .

ودونكم تفصيل ذلك في فروع خمسة ؛

العنصر الأول : المدنية المادية العالية :

لعلّ هذا العنصرَ أقلُّ عناصر الحضارة الإنسانية أهميّةً في الأصل ، لكنه أكثرها لزوماً اليوم للأمة لشدة افتقارها إليه .

صحيح أن العرب المسلمين لم يقاتلوا أعداءهم الكفار الحربيين إلا وكان أعداؤهم أكثر منهم عدداً وعُدةً ، وصحيح أن تفوق العدو على العرب المسلمين كان كبيراً جداً ، وبالرغم من ذلك فإن العرب المسلمين غالباً كانوا هم المنتصرين ، وإذا لم يحصل النصر لسبب ، أو تلبَّثَ عليهم ، سرعان ما عالجوا هذا السبب ، وانتقلوا إلى الوضع الصحيح المحقِّق للنصر، وليس معنى ذلك أنهم تركوا الجانب المادي أو أهملوه في سِلمِهم أو في حربهم ، لا ؛ بل إنهم أعطوا القضية المادية حقّها الوافر في حالتي السِّلم و الحرب ، وأَوْلوها من عنايتهم ما حقَّق لهم مدنيةً عاليةً ذات ركائز ماديةٍ متميزةٍ لم تتوفر لعدوهم في الأعم الأغلب .

---

[3] انظر : (**المعجم الفلسفي**) د. جميل صليبا 1/475 وما بعدها ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1982 م , وفيه أيضاً : (ومع أن الصورة الغائية للحضارات مختلفة باختلاف الزمان والمكان ؛ فإن اختلافها لا يمنع من اشتراكها في عناصر واحدة ، وتتألف هذه الناصر في زماننا من ؛ التقدم العلمي والتقني ، وانتشار أسباب الرفاء المادي , وعقلانية التنظيم الاجتماعي ، والميل إلى القيم الروحية ، والفضائل الأخلاقية . . .) .

والذي يلفت النظر في جذور الحضارة الإسلامية أنها كانت تهتم بالمادة بقدر ما كانت تهتم بالمعنى ، والأدلة على ذلك في زمن السلم وزمن الحرب كثيرة ؛

ففي زمن الحرب ؛ ما حَدَّثتنا عنه كتب السيرة والحديث عن العارية التي استعارها النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من صفوان بن أمية ، وكانت دروعاً - وهو مشرك - فقال : أغصباً يا محمد ؟ قال : ((بل عارية مؤداة)) أي مضمونة[1] ، وما جهز به النبي صلوات الله عليه جيش بدر[2] ؛ من التنظيم الحربي المبتكر الذي لم يُعْرفْ من قبل ، وما فعله خالد بن الوليد رضي الله عنه في اليرموك يوم جعل المسلمين كراديس في مقابلة جيش الروم[3] .

وفي زمن السلم ؛ ما أقرَّه النبي صلوات الله وسلامه عليه واستحسنه من إنارة المسجد النبوي الشريف بالسُّرج والقُتُل وهي تَزهَر بالليل - أي تضيء - فقال : ((من صنع ذلك ؟)) قالوا : تميم بن أوس الداريّ يا رسول الله ،فقال له : ((نوّر الله عليك كما نوَّرت الإسلام))[4].

كل ذلك أدلة على العقلية الحضارية المدنية ذات النـزعة المادية التي جاء بها رسولُ الإنسانية ونبيُّ الحضارة ؛ سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

العنصر الثاني : العقلانية المحُكَّمة

فالحضارة الإنسانية في المنظور الإسلامي لا تقوم على مجموعة من الأوهام والخرافات ؛ التي تُتَّخذ لدى كثير من الناس السُّذَّج والبسطاء ديناً يدينون به من باب التقليد الأعمى ، ويعتمدون في ذلك على إرث الآباء والأجداد ، وما وصلهم من أولئك الذين يمتهنون الاتّجار بالدين ، سواءٌ أكانوا يُصنِّفون أنفسهم مسلمين أم لم يفعلوا ، فهذه الغيبيَّةُ الخرافيّةُ قد تُجامع الإسلام الشكلي الذي يتستَّر به كثير من المسلمين ، وقد لا تُجامعه ، وهي

---

1 رواه الإمام الحاكم ، والإمام ابن حبان ، والإمام الترمذي ، وغيرهم ، انظر : (الجامع الصغير) للإمام السيوطي و(شرحه) للحافظ المناوي تحت رقم (7414) .

2 انظر في ذلك كتب السيرة النبوية .

3 انظر في ذلك كتب السيرة والتراجم .

4 روى الإمام القرطبي في تفسيره (الجامع لعلوم القرآن) 12/274 ، وفي (الإصابة في تمييز الصحابة) 7/35 للحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي هند رضي الله عنه قال : (حمل تميم الداري معه من الشام إلى المدينة قناديل وزيتاً ومقطاً ، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك يوم الجمعة ،فأمر غلاماً له يقال له أبو البراد فقام فشد المقط - وهو بضم الميم وسكون القاف وهو الحبل - وعلق القناديل ، وصب فيها الماء والزيت ، وجعل فيها الفتل ، فلما غربت الشمس أسرجها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا هو يزهَرُ ، فقال : ((**من فعل هذا ؟**)) قالوا : تميم ؛ يا رسول الله . قال : ((**نوّرت الإسلام ، نوّر الله عليك في الدنيا والآخرة ، أما إنه لو كانت لي ابنة لزوجتكها**)) . . .) ، وفي (السنن) لابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي (المعجم الكبير) للطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أول من أسرج في المساجد تميم الداري - رضي الله عنه) 1/250 تحت الرقم (760) .

على جميع الأحوال جاهليّةٌ تَزَيَّتْ بزَيِّ الدين ، ولبست مُسُوحَه كذباً وزوراً وبهتاناً ، والدين الحقّ منها براءٌ .

إن العرب والعالَم قبل الإسلام لم يدينوا بهذا الدين إلا لِمَا رأوا فيه ، وشهدوا من حربه على الخرافة والخرافيين ، والشعوذة والمشعوذين ، فحارب السحر ، والكهانة ، والعَرافة ، وأعلنها حرباً ضروساً على أولئك الذين يجعلون من الدين سُلَّماً للوصول إلى غاياتهم الدنيوية الخسيسة ، فرفض الإسلامُ كلمةَ (رجال الدين) ، وأبدل بها لقباً شريفاً باذخاً هو : (العلماء) ، وشرَّف الله هذه الرتبة بقوله :) ﴿ [illegible] ([الآية 28من سورة فاطر] ، وجعل العلماءَ أشرافَ الناس بعد الأنبياء وورثةً لهم ، فألقى بذلك رتبة الكاهن وأبطلها ، وها هو نبينا سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يصعد المنبر حين تبلغه قالةً فشت بين الناس : (إن الشمس كَسِفتْ لموت إبراهيم ابن النبي صلوات الله عليه) فقال مُغضَباً : ((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته – وفي رواية أخرى : لا ينكسفان لموت أحد - فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا))[1] .

وسيدنا النبي صلوات الله عليه أوّلُ من حثَّ على العلم والتعلم ، وأنشأ معهداً ؛ بل وكُلِّيةً في المسجد النبوي الشريف لتعلُّم العلوم الشرعية - هم أهل الصُّفَّة - وأنشأ كذلك معهداً لمحو الأمية ، وجعل من زوجاته الطاهرات - أمهات المؤمنين - وسيدتنا فاطمة رضوان الله عليهن معلماتٍ لأولاد الصحابة ، وكان فداءُ أسرى بدر - ممن لم يدفع مالاً - أن يُعَلِّمَ كلُّ واحد منهم عشرةً من أولاد الصحابة القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب ، وحثَّ القرآنُ الكريمُ والسنةُ المشرَّفةُ على العلم والتعلّم بما لم يُسْبَقْ من قبلُ ، ولن يُلحق ، وحسبكم قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم : ((عليكم بهذا العلم قبل أن يُقبض ، وقبضه أن يُرفع ، وجمع بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام هكذا ، ثم قال : العالم والمتعلم شريكان في الأجر ، ولا خير في سائر الناس))[2].

هذه هي العقلانية المحكَّمة ، في الحضارة الإنسانية الباذخة ، من المنظور الإسلامي ، وحسبكم بهذا دليلاً وبرهاناً على عقلانية الإسلام الحضاري ، ونزعته العلمية الموضوعية ، وأريد أن أذكِّر بأن علماء المسلمين هم أوَّلُ من وضع المنهج التجريبي ، والقانون العلمي : (إذا نقلتَ فالصحة ، وإن ادَّعيت فالدليل) ، وعلى أن علماء المسلمين كانوا أول من أوجد الصِّفر ، وعلم الجبر ، والمثلثات ، واللوغاريتم ، وأول من تحدث في الدورة الدموية الصغرى ، وأول من أوجد علم الفلك الحديث ، وعلم البحار . . .

---

[1] انظر : (صحيح الإمام البخاري) 1/353 ،كتاب الكسوف ، باب الصلاة في كسوف الشمس ، عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وعن غيرها من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

[2] انظر : (سنن الإمام ابن ماجه)1/83 رقم (228) ، باب فضل العلم والحثّ على طلب العلم ، عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، و(المعجم الكبير) للطبراني ، 8/220 رقم (7875) .

العنصر الثالث : النزعةُ الخُلقية الراقية :

إن أية حضارة لم تُشيِّد بناءها على مكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات ، وكريم الشمائل الإنسانية ؛ محكوم عليها بالفشل ، والزوال ، والاندثار ، ولو حصلت على أعظم الفتوحات العسكرية والتوسع السياسي ، فلدينا في تاريخ الإنسانية أمثلة على ذلك ؛ من فتوحات الإسكندر المقدوني وإمبراطوريته العظمى ، ثم الإمبراطورية الفارسية ، ثم الإمبراطورية الرومانية ، ثم إمبراطورية نابليون ، وقبله جنكيز خان ، وهولاكو ، وبعده هتلر ، وموسوليني ، كل هؤلاء ظهروا على ساحة الأحداث ، واسبطرَّت دولهم ، وعظمت شكوتهم ، لكنهم سرعان ما ذهبوا كما ذهب الأمس وجاء اليوم ، ولم يبْقَ لهم أثرٌ يُذكر ، اللهم ؛ إلا ما خلفوه من دمار وخراب كان وبالاً على البشرية وإصْراً وتاريخاً أسوداً .

أما حضارتنا العربية الإسلامية المحمدية المشرقة ؛ فإنها لتعتزُّ أيَّما اعتزاز بهذه النـزعة الخُلقية الراقية ، التي اشتملت عليها الرسالة المحمدية الخاتمة ، ممثلةً بشخص رسولنا العظيم ،ونبيناَ الكريم ؛ سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه سلَّم .

فسيرته العطرة ، وشمائلُه الغرُّ ؛ التي شهد لها العدو قبل الصديق ، وكذلك ما مشى عليه من بعده آل بيته الأطهار ، وأصحابه الأبرار ، الذين قال الله في حقهم جميعاً:) [illegible] ([الآية110من سورة آل عمران] ، كل ذلك يشهد بالبراهين الدامغة ، والأدلة الساطعة ؛ بما كان عليه النبي الكريم ، ومن تبعه من الآل والأصحاب ؛ من سُموِّ خُلُقٍ ، وطهارةِ نفس ، ونصاعةِ تاريخ ، وبما لا يقبل الجدل ، وبما بلغ مبلغ التواتر ، فأضحى كالشمس في رابعة النهار .

وكيف يَقِرُّ في الأذهان شيٌء إذا احتاج النهار إلى دليل ؟ !

وفي الحديث النبوي الشريف عنه صلوات الله عليه : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[1]، وحسبكم قول الله جلّ وعلا في التنـزيل :) [illegible] ([سورة القلم] .

هذا ؛ وقد لفت نظري ما روته كتب السيرة عنه صلوات الله عليه : أنه كان وهو في المدينة قبل الفتح يُرسل أموالاً من سهم المؤلفة قلوبهم إلى المشركين من أهل مكة ؛ يتألفهم بها ، ويصِلهم ، فكانوا يقولون : (عجباً لهذا الرجل ؟ ! نحن نحاربه وهو يَصِلُنا - أي بالمال - ؟ ! ما أكرمه ؟ ! وما أرحمه ؟ !) .

وأعظم موقف في التاريخ الإنساني يشهد للنبي صلوات الله عليه قوله وهو على باب الكعبة يوم فتح مكة لقريش الذين أصبحوا في قبضة يده وهم المجرمون الذين أرادوا قتله سألهم :

---

[1] انظر : (السنن الكبرى) للإمام البيهقي10/191 ، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ،عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومثله في (مسند الشهاب القضاعي) وفي (مسند الإمام أحمد) و(مصنف ابن أبي شيبة) : ((صالح الأخلاق)) .

((ما تظنون أني فاعلٌ بكم ؟)) قالوا : أخٌ كريم وابن أخٍ كريم ، قال لهم : ((لا تثريب عليكم اليوم ؛ يغفر الله لي ولكم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء))[1].

العنصر الرابع : النفحةُ الروحية السامية :

قد يظن كثير من الناس أن النفحة الروحية السامية جزء من التدين ، ولكن الأمر في حقيقته ليس كذلك ؛ فقد يوجد التدين ولا تجامعه النفحة الروحية ، فهو تدينٌ جاف قاصر أو كاذب ؛ فالقاصر كتدين الغافلين العابثين اللاهين ، والكاذب كتدين المنافقين نفاقاً أكبر ، بينما الصنف الأول نفاق أصغر .

والتدين الحق : هو الذي يجمع بين التصور الصحيح والتصديق الصحيح ؛ بين ظاهر الإسلام وباطن الإيمان ، أما التدين القاصر والكاذب فهو ظاهر الإثم وباطن الإثم ، وحسبك بهما زيفاً وضلالاً مبيناً .

ويشهد للنفحة الروحية السامية في حياته الشريفة ، وحالته المنيفة صلوات الله عليه تلك الإشراقاتُ الروحيةُ والسَّبُحاتُ العُلوية ؛ التي كان النبي صلوات الله عليه يتفيَّأ ظلالها في هَدأة الليل ، وفي الأسحار وقرآن الفجر المشهود من الملائكة ، وحسبك حديثُ الأزيز[2]وما هو عليكم ببعيد .

العنصر الخامس : المنهج الرباني الشامل [3]:

إن أعظم عنصر من عناصر الحضارة الإنسانية هو المنهج الرباني الشامل ؛ فهذا المنهج هو فيصل التفرقة بين الحضارة الإنسانية الحق ذاتِ المصدر الرباني ، وبين الحضارة المزيفة الباطلة ذات المصدر الوضعي ، ولو كانت ذاتَ نزعة إنسانية مثالية كفلسفة أفلاطون مثلاً ، ذلك أن المنهج الرباني يشتمل على واقعية في مثالية ، ومثالية في واقعيةفي منهج وسط أعدل ، لا اعوجاج فيه ولا أمْتَ ، ولذلك دُعي بالشامل .

وهذا المنهج الرباني الفريد لا نجده إلا في الرسالة المحمدية الخاتمة ، نجده فيها يتجلى ويتألق بأبهى حلة ، ويبدو متألقاً بأجمل مظهر في سيرة نبينا العطرة ، وفي هديه ، وفي سنته المشرَّفة ، فلم يكن هذا المنهج نظريةً قائمةً في الأذهان تحتاج إلى برهان من الواقع ، ولم يكُ ضرباً من ضروب الشعر يحلم في عوالم من

---

[1] انظر : (السنن الكبرى) للإمام البيهقي6/382 ،رقم (11298)، عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ونحوه في (نوادر الأصول) للحكيم الترمذي وفي (فيض القدير) للحافظ المناوي ، وغيرهم .

[2] انظر : (صحيح ابن حبان)2/493رقم (665)، عن عبد الله بن الشخير عن أبيه رضي الله عنه ، و(صحيح ابن خزيمة) 2/53 رقم (900) و(المستدرك) 1/396 رقم (971) وغيرهم .

[3] جمهور الباحثين يخصصون اصطلاح (الثقافة) لمفهوم الرقي في الجوانب الروحية والأدبية ؛ من دين ، وأخلاق ، وفلسفة ، ولغة ، وفنون . . . ويخصصون اصطلاح (المدنية) لمفهوم الرقي في الجوانب المادية ؛ من علوم طبيعية ، وتشييد ، واختراع ، واكتشاف . . . مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة ، ويرون أنه من الثقافة والمدنية معاً تتكوّن الحضارة .

الخيال المحلِّق أو المُجَنَّح ، بل كان مترجَماً إلى واقع ملموس وحياة عملية قائمةٍ على مَرْسح الحياة ، يجمع في جنباته وبين طَـيَّاته أرقى ما وصل إليه العقل البشري من العلوم والمعارف ، وأصحَّ ما وصل إليه الفكر الإنساني من القوانين الناظمة للحياة الإنسانية وأجملَ ما حملته القلوب الطاهرة من العواطف النبيلة ، والأرواحُ المحلِّقَةُ من الأسرار الشريفة .

ولا أبالغ أبداً إذا قلتُ : إن هذا المنهج الرباني الفريد هو سرُّ بقاء هذا الدين الحضاريَّ متألّقاً متجدِّداً إلى يومنا هذا ، بعد زُهاء أربعة عشر قرناً ونيفٍ ، فهو آدابٌ ، والآدابُ حُلَلٌ مجدّدة[1].

[1] هذا القول يُروى عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه .

المطلب الثالث : الجاهلية نقيضاً للحضارة الإنسانية :

هذه هي الحضارة ، فما هي الجاهلية ؟ نحتاج إلى معرفة النقيض وهو الجاهلية لفهم حقيقة الحضارة ، وبضدها تتميز الأشياء ، إذا كانت الحضارة : (وَضْعاً متميزاً ومتفوقاً للجماعة الإنسانية في ذِروة تألقها) فالجاهلية هي النقيض ، فهي إذاً : (الوضعُ المتخلِّف والمتردي للجماعة الإنسانية في حَضيض ترديها وتخلُّفها) ، وقد جاءت الجاهلية في معرض الذم في التنـزيل في آيات من كتاب الله منها قول الله تعالى :) [illegible] ([سورة المائدة] ، وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري مرفوعاً : ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة ؛ ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه))[1] ، وقد ورد عن بعض الصحابة موقوفاً : (لم يعرف حقيقة الإسلام من لم يعرف الجاهلية)[2] .

هذا وقد تكون الجاهلية كفراً ؛ كجاهلية العرب قبل الإسلام ، وجاهلية الفرس ، والرومان، والهندوس ، والبوذيين ، وقد تكون تُجامع الإسلام لكنها تقدح في نقائه وصفائه ، وذلك كما ورد عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : (إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فعيّرته بأمه ، فشكاني إلى النبي ، فلقيت النبي فقال : ((يا أبا ذر ؛ إنك امرؤ فيك جاهلية)) ، قلت : يا رسول الله؛ من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، قال : ((يا أبا ذر ؛ إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم))[3].

فهذه الجاهلية التي أشار إليها النبي صلوات الله عليه جامعت الإسلام ، فلم تكن مكفِّرة ، لكنها قدحت في نقاء إسلام أبي ذر رضي الله عنه حتى أحدث توبةً ، وكفَّر عن خطئه بيمينه تلك، ثم برَّ بيمينه .

وتتخذ الجاهلية الصُغرى - التي ليست كفراً - صوراً متعددةً تُسيء إلى وجه الحضارة الإنسانية في الإسلام وتشوِّهه ، وأضرب لذلك أمثلةً :

---

1 انظر : (صحيح الإمام البخاري) 6/2523 رقم (6488) ،كتاب الديات ، باب من طلب دم امرئ بغير حق ، عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

2 انظر : (الفوائد) للعلامة ابن القيم 1/109.

3 أخرجه الشيخان والإمام أبو داود ، واللفظ لمسلم . انظر : (صحيح الإمام البخاري) 1/20 رقم (30) ،كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولفظه : (إني ساببت رجلاً فعيَّرته بأمه ، فقال لي النبي : ((**يا أبا ذر ؛ أعيّرته بأمه ؛ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ؛ جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس**)) . وانظر : (صحيح الإمام مسلم) 3/1282 رقم (1661) . وانظر (سنن الإمام أبي داود) 4/340 رقم (5157) .

آ – فمن ذلك العصبية القَبَليةُ والعرقية التي قال عنها النبي صلوات الله عليه في خطبة الوداع : ((يا أيها الناس ؛ إن الله قد أذهب عنكم عبِّيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان ؛ برٌّ تقيٌّ كريمٌ على الله ، وفاجرٌ شقيٌّ هيِّنٌ على الله ، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب))[1]، وقال الله تعالى في التنـزيل :) [illegible] ( ] الآية 13من سورة الحجرات[.

ب – ومن ذلك أيضاً العصبية المذهبية والطائفية ؛ وهي الانتصار للمذهب والطائفة، على حق ، أو على باطل .

وصحيح أن المذاهب في الإسلام مصدر غنىً وثروة فقهية متميزة لكنها اختلاف تَنَوُّع لا اختلافُ تضادٍّ ، وهذا هو الذي يفهمه الآل والأصحاب رضي الله عنهم في صدر الإسلام، فكانوا يختلفون فيما بينهم في المسائل ، ولكن كان يُعظِّمُ بعضُهم بعضاً ، ويَعْذِر بعضُهم بعضاً ، ويوقِّر بعضُهم بعضاً ، وهذا هو المعنى الرائع الذي ورد على لسان سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في قولته الخالدة : (والله ما أحب أن تتفق كلمة علماء أمة محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه على حكمٍ في واقعةٍ فيصير في الناس حرجٌ فلو أخذ كلٌّ بقولٍ كان سنة) ، ولما أراد الخليفة العباسي المنصور أن يحمل الناس على الموطأ ، قال له الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وصاحب الموطأ : (لا يا أمير المؤمنين ؛ دع الناس يختلفون ، فيكونَ في الدين يُسْرٌ ، فلقد اختلف الصحابة والتابعون ولم يكن ذلك خَدشاً في الدين) .

ج – ومن ذلك أيضاً تتبعُ الخلاف ، وجَعْلُه أصلاً للفُرقة والاختلاف بين المسلمين ، حتى أصبح المذهب ديناً ، والمناظرةُ مجاجرةً ، والمناقشةُ العلمية تشهيراً وتكفيراً ، وكفَّر الخَلَفُ السلفَ ، وآخرُ هذه الأمة أوَّلَها ، وتلاعنَ المسلمونَ في الأعمِّ الأغلب ، فكل ذلك يُنذِرُ بشرٍّ مستطير ؛ هو الجاهلية ، التي عادت بوجهها القبيح ، لتجعل من هذه الأمة الواحدة أمماً ، ومن هذا الدين أدياناً ، فهنالك مذاهب افترقت عن الإسلام وأضحت سرطاناً في جسم هذه الأمة ، كالقادينية ، والبابية ، والبهائية ، وما شاكل ذلك ، فضاعت وحدة الأمة ووسطيتها ، واضمحلَّ عنفوانها وعظمتها ، وتمكّن منها الضعف والتخلف ، والفقر والجهل ، بعد أن كانت الأمةَ الرائدةَ الماجدةَ .

وهكذا أضحت الجاهليةُ نقيضاً للحضارة الإنسانية في الإسلام ، وقامت صور من هذه الجاهلية وأضحت جاهلياتٍ مختلفةً بأسماءٍ متعددةٍ ، وظنَّها الناس غيثاً فإذا هي سراب ، سَرعان ما ظهر على حقيقته بانهياره في خواتيم القرن الماضي ، وسيظهر على حقيقته أكثر فأكثر عند انهياره ، وفيهم يصدق قول الله تعالى :) [illegible] ( ] الآية 39من سورة النور[، أي : عذابه وعقابه .

[1] انظر : (سنن الإمام أبي داود) 5/389 رقم (3270) ،كتاب تفسير القرآن الكريم ، باب ومن سورة الحجرات ، عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

وسيأتي يومٌ يرى فيه الناس بأعينهم طواغيتَ الأرض يطوون بأيديهم راياتهم وأعلامَهم ، ليُودعوها مزْبَلةَ التاريخ ؛) [illegible] ([سورة المعارج] .

قال الله تبارك وتعالى :) [illegible] ([سورة الدخان] .

المطلب الرابع : مستقبل الحضارة الإنسانية في ظل غياب الإسلام الحضاري :

ماذا وصل إليه العالم في ظل غياب الإسلام ؟ لقد كان الإسلام نعمةً ورحمةً للعالمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وبهذا الإسلام بمفهومه الحضاري الأمثل دانت أممُ الأرض للعرب والمسلمين وجعلوا في أيديهم مفاتيح الأرض ومقاليد الأمم والشعوب .

فالعالم اليوم ينتظر من العرب المسلمين أن يأذوا دورهم القياديَّ ، وأن يرفعوا عن البشرية إصرها والأغلال التي كانت عليها جَرَّاءَ عبادة طواغيت الأرض .

ألا ما أعظم التطور الذي حدث في تاريخ العرب على إِثْرِ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ونادت به سورة الإسراء وقصة المعراج في لغةٍ صريحة بليغة ، وفي أسلوب مبين مشرق ، إعلاناً بأن محمداً صلوات الله عليه هو نبي القبلتين ، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله ، وإمام الأجيال بعده ، فما أعظم النعمة التي أسبغها الله على العرب ؛ نقلهم من جزيرتهم التي كانوا يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذي يقودونه بناصيته ، ومن الحياة القبلية المحدودة التي ضاقوا بها إلى الإنسانية الواسعة التي يشرفون عليها ويوجِّهونها ، وأصبحوا بفضل هذا التطور العظيم - الذي فاجأ العرب وفاجأ العالم - يقولون بكل وضوح وشجاعة لإمبراطور المملكة الفارسية العظيمة وأركان دولته : (الله ابتعثنا ليُخرج بنا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام)[1] ، فلقد خرجوا من ضيق الدنيا إلى سعتها أولاً ، ثم أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخراً ، وأخرجوا الشعوب من ظلم الملوك وطواغيت الأرض إلى عدالة السماء ، قال الله تعالى :) [illegible] ([سورة الحج] .

المطلب الخامس : الإسلام بمفهومه الحضاري هو جوهر الحضارة الإنسانية الحق :

---

[1] انظر (تاريخ الطبري) 2/401 ، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 ، 1407هـ .

هل جوهر الحضارة الإنسانية الحق الذي تصبو إليه البشرية اليوم ، وتبحث عنه إلا الإسلام بمفهومه الحضاري ، وجوهره المشرق الوضّاء ، لا بمفهومه التقليدي المزيف ؟!

ما جنى أحدٌ على مصادر ثروته وعزته ما جنى المسلمون على إسلامهم ؛ من التشويه والتشويش والتزييف ، ولا خسر أحدٌ كما خسر المسلمون ؛ من غياب جوهر هذا الدين العظيم ، وبقاء أشكاله وصُوَرِهِ ممثَّلةً في العبادات ، فارغةً من مضمَّنها وجوهرها ؛ من العبودية ، والعبودة الحق ، وما خسر العالَمُ كلُّه في القرون الخوالي قريبة العهد ما خسر بغياب الإسلام والمسلمين عن مركز القيادة والريادة .

إن ما يسميه الغرب اليوم حضارةً ليس بحضارةٍ مطلقاً ، بل هو مدنية كاذبة مزيفة ، تحمل في طياتها الظلم ، والجور ، والطغيان ، والاستعباد ، والاستعلاء ، وكلّ معاني الشرّ ، فهي كالمدنيات السابقة ؛ مدنية الفرس ، والرومان ، والفراعنة ، وأضرابهم ، وإنما الحضارة الحق ذاتُ الطابع الإنساني الرفيع والجوهر الرباني الكريم ؛ هي الحضارة التي فجّر ينابيعها القرآنُ , وقاد جحافل عزتها الإسلامُ , وصاغَ قلائد رِفعتها وازدهارها سيدُنا محمدٌ صلوات الله عليه ، وآلُ بيته الأطهار ، وصحابته الأبرار ، ومن ائْتَمَّ بهم ، وسار على هَدْيهم ؛ من الفاتحين العظماء الذين كتبوا أسفار النصر في تاريخ الأمم .

أُولئك آبائي وتلك أرومتي	وهاتيك آمالي فكن لي مؤمَّلاً [1]

أجل ؛ ليس المسلمون اليوم - في الأعم الأغلب - في تخلفهم بحُجّةٍ على الإسلام ، بل الإسلام حجّةٌ عليهم ، ولدينا من تاريخنا المشرق ما يدحض شبهات الخصوم والأعداء ، ويدمغها بالحق الأبلج: ﴿ [illegible] ﴾ [سورة الأنبياء] .

المطلب السادس : المستقبل في العالم كله للإسلام وحده بمفهومه الحضاري :

لقد أفلست النظريات الوضعية كلُّها ، وأفلس أصحابها ، وأعلنوا إفلاسَهم ، ولم يبق للعالم اليوم منقذٌ مما يعانيه من الويلات إلا الإسلام وحَده ، ولكن بمفهومه الحضاري المشرق ؛ المفهومَ القرآني المتجدِّدَ ، الذي حمله العرب المسلمون الأوائل - رضوان الله عليهم - إلى العالم هدايةً ورحمةً ونوراً .

أيها العرب ؛ أيها المسلمون ؛ إن العالم يستصرخكم أن تنقذوه بالإسلام المحمدي وبالهدي القرآني ، وأن تعيدوا إليه الأمن والطمأنينة ، والراحة والسكينة ، والعدل والرحمة ، والمصلحة الحقَّ ، كما قال الهرمزان لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن سائر الخلفاء الراشدين : (حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا ابن الخطاب) .

المبحث الثاني

---

[1] من منظومة (فتح الفتاح و ثغر النرجس الفواح في علوم الاصطلاح) للمؤلف .

تعريف الفكر الحضاري

الفكر الحضاري موجود بوجود الإسلام ، جاء مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو ليس شيئاً جديداً من القول أو بدعاً من التفكير ، ولكنه الإسلام بحقائقه ، مصوغٌ بصياغةٍ فقهيةٍ متخصصةٍ ، ولم يفعل الكاتبون والدارسون في هذا العلم أكثرَ مما فَعَلَه أئمة الشريعة وفقهاؤها في الفقه الإسلامي ؛ حيث لهم فضل الصياغة فحسب ، وما فعله علماء العربية بعلم النحو والصرف ، وبعلم البلاغة ، وما فعله علماء الحركة الفكرية بعلم المنطق . فهذه العلوم وُجدت بنـزول الوحي ؛ علوماً ، وأفهاماً ، وأفكاراً .

وانطلق العلماء والفقهاء يغرفون من هذا المعين ؛ يَنْهَلُون ، ويَعُلُّون ، فليس للعلماء في هذه العلوم إلا شرف التقعيد والصياغة ، وهكذا الشأن في هذا الفن الذي هو خلاصة علوم الإسلام النقلية والعقلية ؛ جُمِعَت لتُصَاغَ في هذه السبيكة الذهبية ، لتصبح فيما بعدُ عَلَماً على عِلْمٍ مركّبٍ من عدة علومٍ مجتمعة أُطلِقَ عليه : (علم الفكر الحضاري) ، سُمِّي بذلك لأنه اشتمل على جميع المقولات التي تشكل مادة الإسلام من الوجهتين العلمية والروحية معاً .

المطلب الأول

تعريف علم الفكر الحضاري في الإسلام

وبالجملة ؛ فإن التعريف بالحد لهذا العلم يُقارب أن يكون هكذا على الوجه التالي: (علم الفكر الحضاري هو : القضايا الكلية الجامعة لحقائق الإسلام ؛ ديناً ، ودنيا ، وآخرة ، من حيث الالتزام بهذا النهج الإلهي ، الموصل إلى الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة) .

فكل مقولة خرجت عن هذا النهج الأعدل ليست من الفقه ، ولا من العلم ، ولا من الحضارة ، كما أنها ليست من علم الفكر الحضاري ؛ جمعاً ،وفرقاً ، ولو أدخلت فيه بالتأويل .

على أن هذا التعريف الجامع المانع لهذا الفن القديم الجديد ؛ القديم بقدم هذا الدين ، الجديد صياغةً وتمكيناً ، فعمل فقهاء هذا العلم فيه ليس أكثرَ من عمل الإمام أبي حنيفة في الفقه ، والإمام الشافعي في أصول الفقه ، والإمام سيبويه في النحو، والإمام الفراهيدي في اللغة ، وهكذا في سائر العلوم التي على هذه الشاكلة .

وبما أنه أكثر العلماء والباحثين القُدامى - أجزل الله مثوبتهم - اكتفوا لأصالتهم وقوة تفكيرهم ؛ لما لديهم من حقائق هذا العلم دون تسمية ولا تبويب ، لأنهم في غنىً عن ذلك ، فالشعراء الجاهليون وشعراء صدر الإسلام لم يُعهد عنهم أنهم تعلموا العَرُوض لينظموا الشعر ، بل كان شعرُهم سليقةً ، بل كانت الشعراء والأدباء ترجع إليهم ، كما لم يعهد عن واحد من أعلام العربية أنه تعلم علم النحو ليضبط ألفاظ كلامه ، أو علم المنطق

ليضبط أفكار كلامه ، فإن كلَّ من أتى بعدهم عالةٌ عليهم ، بل كانت العرب تعيب على من يتعلم النحو ، وترى أنه أَسَفَّ وجاوز الصواب ، كما قال الشاعر العربي :

ولسْتُ بنَحْوِيٍّ يلوكُ لسانَه ولكن سليْقِيٌّ أقولُ فأُعْرِبُ

ولكن هذا كان في أول الأمر ، ثم احتاج الناس عند قيام الفتوحات الإسلامية ، وما نجم عنها من دخول الموالي والأعاجم في الإسلام ، وفُشُوِّ اللُّحْن والعُجْمة ، وكثرة الشعراء المولَّدين ، فأضحى من الضروري ضبط العلوم وتقعيدها ، وهذا ما فعله علماؤنا الأقدمون ، وما يجب أن يفعله علماؤنا المُحْدَثُون والمعاصرون ، لإظهار علومٍ هي من مادة العلوم القديمة ، ولكنها صِيغت صياغةً تتَّفق والعصرَ الذي نعيشه بمقولاته وأفكاره ، ومن الممكن أن نَنْتَهِجَ ونشتقَّ كثيراً من هذه العلوم المنبثقة عن أصل واحد ، والمتفرِّعة عن جذر واحد ، ألا وهو الحضارة الإسلامية بمفهومها العام الشامل .

المطلب الثاني
دور علم الفكر الحضاري:

وعلى كلٍّ ؛ فنحن أمام عِلْمٍ باذخ شاملٍ ؛ يُعدُّ النابضَ الحسَّاسَ في علوم الإسلام ، لَه دورٌ فعالٌ في الحضارة الإنسانية ، وفي حركة التاريخ .

الفرع الأول
دوره في الحضارة الإنسانية

أما دور هذا العلم في الحضارة الإنسانية فهو : أن الحضارة الإنسانية ما استقامت ، ولا تستقيم، ولن تستقيم ؛ إلا بوجودِ هذا الفكر الحضاري على رأس الأولويات كلها، بحيث يكون أصلاً وما سواه فرعاً عنه ، ضمن معارف الحضارة الإسلامية الإنسانية ، وارتقاءً في معارجها ، فنحن نرى أن العرب المسلمين لمَّا كانوا في مقدمة الركب الحضاري في العالم كان المفهوم الإنساني لتلك الحضارة حاكماً لا محكوماً ، وآمراً لا مأموراً ، وعُرِف العرب المسلمون في التاريخ بتجذّر المعنى الإنساني فيهم ؛ تكميلاً وإتماماً لدور العروبة بمفهومها الإسلامي ، بحيث أصبح كلٌّ من العروبة والإسلام منصهرين في بوتقة الخطاب الإنساني ؛ الذي عُرفت به هذه الحضارة المتفوِّقة والمتميِّزة ، يدل على ذلك الحديث النبوي الشريف : ((الخلقُ كلُّهم عيالُ الله , وأحبُّهم إلى الله أنفعُهم لعياله))[1].

[1] أخرجه الشهاب القضاعي في (مسنده) 2/255 رقم (1305) ، والطبراني في (الكبير) 10/86 رقم (10033) ، والديلمي في (الفردوس) 2/201 رقم (2995) وغيرهم ، قال الإمام العجلوني الجراحي في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : (. . وله طرق بعضها يقوي بعضاً . . . وقال ابن حجر في (الفتاوى الحديثية) : حديث **((الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله))** ورد من طرق كلها كمال . . .)

فالخطاب العربي لا يُلغي أبداً دور الخطاب العالمي ، والخطاب العالمي يُجذِّر الخطاب العربي والإسلامي ، وهكذا نرى وحدة الفكر الإنساني في الإسلام ، يوم يتبوَّأ فقهُنا الحضاريُّ العظيمُ مركزَ الصدارةِ ؛ في كلٍّ من الحضارة أولاً ، وفي حركة التاريخ ثانياً .

الفرع الثاني
دوره في حركة التاريخ

والمعروف في مصطلح التاريخ أن حركته غيرُ خاضعة للأمزجة والأهواء ، بل هي قوانين ونواميس ثابتة وصارمة ، تشبه علم الرياضيات ، فهل يستطيع أحد أن يزعم أنه يُهيمن على هذه القوانين ليُغيرها متى يشاء ؟! بحسب ما يراه من مصلحه ؟! فإذا رأى أن مربع الوتر - مثلاً - لا يُساوي مربع الضلعين القائمين ، أفتى بما يراه ، جازماً به ، غير ملتفتٍ إلى الحقيقة العلمية المجردة، وإذا رأى غير ذلك أفتى به ، فالقضية عنده نسبيةٌ ؟! فمثل هذا الكلام لا يُوضع في التاريخ، ولا في حركة التاريخ بل يُرمى به في مزبلة التاريخ .

إن حركة التاريخ تشبه إلى حد بعيد حركة رقَّاص "بندول" الساعة في حالة اهتزازه وثباته لا يخضع أبداً إلا لقوانينه التي قام عليها ، ولو أردنا غير ذلك أو سعينا إلى غير ذلك ، وهذا ما نسميه في هذا العلم – علم الفكر الحضاري – الحتميةَ الحضاريةَ للتاريخ .

وإلى هذا وذاك ؛ فنحن إنما نتكلم فيما لدينا من الحقائق العلمية ، وما توصّل إليه عقلُنا وفهمُنا ، وهي قضيةٌ حتميةٌ بالنسبة لنا ، أغلبيةٌ بالنسبة إلى موجد القوانين وصانعها ؛ ألا وهو الله عزّ وجلّ ؛ إذ ليس على الله شيءٌ حتميٌّ ، ولكن هذا شأن الله :) [illegible] ([سورة آل عمران] .

ولذلك فإنّ هذه الحتميةَ لا تُلغي أبداً المشيئةَ الإلهيةَ ، ولا تَنتقصُ منها ، بل المشيئةُ الإلهيّةُ تتحكّم فيها ، وليس العكس ، فحركة التاريخ إذاً تُشير بجلاء إلى هذا الدور الذي ارتقى ليصبح حتميةً تاريخيةً مشهودةً للحضارةِ العربية الإسلامية الإنسانية ، وبدون هذا الفهم لن تستقيم أبداً أيّةُ علاقةٍ صحيحةٍ مضبوطةٍ بين العروبة والإسلام والإنسانية من جهة ، وبين حركة التاريخ المتطوِّرة من جهة أخرى .

المبحث الثالث
مدى حاجة المجتمع إلى الفكر الحضاري

قد يتساءل المرء بادئ الرأي ما هي حاجة المجتمع الإنساني اليوم - في هذا العصر المشحون بالنزاعات العالمية على درجة الاختناق - ما هي حاجته إلى علم الفكر الحضاري ؟ نحن نعلم أن المجتمع الإنسانيَّ اليوم تطوَّر تطوُّراً كبيراً جداً ؛ بحيث تغيّرت معالمه ، وتحولت أفكاره ومبادئه ، تحولاً خطيراً ملموساً إلى

1/457 رقم (1220) .

المادية الجارفة ، بحيث لم يعد هنالك - في الأعم الأغلب - أيَّةُ صلةٍ بين هذا المجتمع الجديد وبين المجتمع القديم ، وارتكس هذا المجتمع الإنساني الجديد في حمأة المادية البحتة ، وهيمنت عليه المبادئ الهدَّامة ؛ كالوجودية ، والبراغماتية النفعية . . . ، ووقع هذا المجتمع فريسةً ولقمةً سائغة لذئاب البشر ، فتحوّل الإنسان من مخلوق مفكّرٍ على حيوان أعجم، يعيش ليأكل ، وكتب عليه ارتكاسٌ لم يشهد مثله منذ خُلِق ، فالوف الألوف من البشر إنما يعيشون في كثير من بلاد العالم عَيْشَ التُّعسَاء ؛ لا يجدون الحدَّ الأدنى من العيش ، لتكتنـز جيوبُ الأغنياء وخزائنهم بالأموال ، مستمدةً من عرق ودموع هؤلاء المساكين ، كلُّ هذا في الأعمّ الأغلب ، أموالٌ ضائعة ، وبطون جائعة .

ويأتي علم الفكر الحضاري في الإسلام ليُصحّح الصورةَ اليوم للمجتمع الإنساني ، ويُعيد تفسير الحياة تفسيراً علمياً واضحاً ، لا اعوجاج به ولا أمت .

ولعل هذا العلم فيّ نظري - الذي لم يُكتب به من قبل ، اللهم إلا نُتَفٌ من القول - لعلّه يُلبِّي حاجةَ هذه الإنسانية المعذبة في عصر القلق ، ليُبَلسِمَ جراحَها ، ويُعطيها مدّاً جديداً من سموٍّ روحيٍّ عقليٍّ مُتَّزنٍ ، لا يُلغي الشكلَ لصالح الجوهر ، ولا يُلغي الجوهرَ لصالح الشكل ، يعتني بالمُضمّن اعتناءَه بالظاهر ، يتحدَّث إلى العقل كما يتحدث إلى القلب معاً في آنٍ واحد ، ويوم تخلّى المجتمع الإنساني عن هذا العلم النفيس ، مُعجَباً بما وصل إليه من اكتشافات ماديّة بحتةٍ ، فإنه قد حكم على نفسه بالفناء ، وتمكنت فيه عوامل الهدم من داخله ، وقد نزل الوحي وجاء الإسلام بمفاهيمه الحضارية الرائعة ، ليكتشف في هذا الإنسان الضائع ظمأً شديداً إلى فقاهةٍ علويّةٍ نادرةٍ ، صِيْغَت بقالب عِلْمٍ مكتوبٍ أطلق عليه : (علم الفكر الحضاري) وليس هذا العلم سوى الحلقة الأولى من سلسلة ذهبية أوَّلُها عند الإنسان في مجتمعه الإنساني ، وآخِرُها عند حقيقة الحقائق ، ألا وهي النور ؛ نور الوحي الأعلى ، في صراط مستقيم، مضيءٍ ، مشرقٍ ، أشرق بنور الله ، وخرج من ظلمة الجهل إلى إشراقات الملأ الأعلى ، في عالم من الأنوار ، قام على الجمع التامّ بين مقولات العقل الصحيحة ومسلّماته ، وبين مقولات الوحي الأعلى .

المبحث الرابع
الإسلام وبناء الإنسان الحضاري
المطلب الأول : المجتمع الحضاري

المجتمع : من الجماعة ؛ من الجَمْع ، والمجتمع الحضاري في الإسلام له مقومات وشروط ، والمجتمع الحضاري بناءٌ لبناته الإنسان ، فكل إنسانٍ في هذا الوجود لبنة من لبناتِ المجتمع ، فإذا كان الإنسان حضارياً كان المجتمع حضارياً ، وإذا كان الإنسان متخلّفاً كان المجتمع متخلّفاً ، كالبناء تماماً الذي نبنيه من اللّبِن أو من الإسمنت ، إذا كانت لبِنَاته فاسدةً كان البناء فاسداً ، وإذا كانت لبِنَاته صالحةً كان البناء صالحاً ، وإذا كان

المجتمعُ الحضاريُّ لبِنَتُه الأولى الإنسان - ولكن ليس أي إنسان - الإنسان الحضاري ، فمن هو الإنسان الحضاري ؟ وما قيمته في الإسلام ؟

المطلب الثاني
الإنسان الحضاري وقيمته في الإسلام

قبل التطرُّق إلى قضية كون الإنسان حضارياً أو لا ، ينبغي الوقوف قليلاً مع قضية الإنسان في الإسلام .

الإنسان في الإسلام غايةُ الغايات ، وسيِّدُ الموجودات ، وقِمَّةُ هذه الحياة الدنيا .

الفرع الأول
التكريم الخَلْقِي من الله تعالى للإنسان مطلقاً

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليُكرِّمه ، وما خلقه ليُهينه ، فالله كرّم الإنسان في القرآن الكريم مطلقاً ؛ بلا قيدٍ ولا شــــرط ، قــــــال الله تعالى : ([illegible]) - ولم يقل المؤمنين فحسب ، أو المسلمين فحسب - ([illegible]) [سورة الإسراء] .

هذا في معرض المِنَّة من الله على الإنسان ، لأن الله خلقه وأبدعه ، وله الحقُّ كلَّ الحق أن يَمُنَّ على عباده من الناس ، فقال الله تعالى في تكريم الإنسان مطلقاً : ([illegible]) [سورة التين] ، أي في الصورة الكاملة ، وقال الله تعالى يخاطب الإنسان ، الإنسان الذي خلقه هو وأبدعه وصوره ، ومجرَّد الخطاب من الملك لبعض عبيده هو تكريمٌ لهم ، قــال الله تعالى : ([illegible]) [سورة الانفطار] .

خلقك فسواك : أي جعلك تمشي على رجلين ، وجعلك عاقلاً ، ناطقاً ،مُدرِكاً ، ولم يجعلك كبقية البهائم والعجماوات ، ولو أن إنساناً يصغي إلى ما وراء البيان من وراء هذه الآية : ([illegible]) [سورة الانفطار] .

أيستحق هذا الإله العظيم المبدع الذي أكرمك فسواك في أحسن صورة ، وخلقك في أحسن هيئة، أيستحق منك أن تكفر به ؟! ولكن الإنسان يبقى له طمعٌ بربه ، هذا هو البيان ، وما وراء البيان يقول : (غَرَّنِي بك كرمُك) ، وإلى هذا وذاك ؛ فلا عُذر لإنسانٍ في هذا كلِّه .

والله تعالى يقول أيضاً في إسجاد الله عزّ وجلّ ملائكتَه لآدم - وهذا سجود تحيةٍ لا سجود عبادة - وكان هذا جائزاً في الشرائع السابقة ، وحرّمه الإسلام في الشريعة المحمدية ، قال الله تعالى : ([illegible]

[illegible] ( ) [سورة البقرة] ، فهل هنالك تكريمٌ أعظم من أن الله أسجد لأبينا آدم ملائكتَه المطهرين ؟ تحيةً وتكريماً، لا شركاً وعبادةً ، وحاشى للملائكة أن يُشركوا بربهم ، فهم سجدوا مثلما نمتثل أمر الله في أن نسجد إلى جهة الكعبة ، فنحن لا نعبد الكعبة ، وإنما نعبد الله ، ونمتثل أمره بالتوجه إليها فقط، فآدم بالنسبة للملائكة قبلةُ السجود ، كما أن الكعبة بالنسبة إلينا قبلة الصلاة، والسماء قبلة الدعاء ، ولكن الله تعالى نسخ ذلك في شريعتنا فلم يعد أحدٌ يسجد لأحد ، ولو كان تحيةً وتكريماً .

الفرع الثاني

تكريم الإنسان بالعدل بين بني الإنسان مطلقاً

يقول الله تبارك وتعالى :) [illegible] ( ]الآية 13من سورة الحجرات[، هذا هو معيار التفاضل عند الله تبارك وتعالى ، فالناس كلهم سواسية كأسنان المشط أمام رب العالمين ، لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى ، وبقدر ما يُقدِّم للبشرية من جهدٍ وعطاءٍ يكون عند الله عظيماً ، والحديث الشريف في خطبة الوداع واضح في هذا المعنى ، يقول سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم : ((يا أيها الناس ؛ إن الله قد أذهب عنكم عبِّيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان ؛ برٌّ تقيٌّ كريمٌ على الله ، وفاجرٌ شقيٌّ هيِّنٌ على الله ، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب))[1] .

الفرع الثالث

تكريم الله للإنسان أن جعله خليفةً له في الأرض

هنالك تكريم آخر ذكره الله في كتابه ؛ وهو الخلافة عن الله سبحانه وتعالى ، فالإنسان هو الخليفة لله في أرضه ، وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى :) [illegible] (وهذا ليس اعتراضاً على الله وإنما استفهامٌ للتعلم ، لأنهم وَجَدُوا قبل الإنسان قوماً من الجانّ ؛ كان بعضهم كفاراً ، وكان بعضهم مؤمنين ؛ وقد أفسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فهم يريدون أن يفهموا الحكمة من وراء خلق الله خليفة له من الإنسان في الأرض ، ثم قالوا :) [illegible] (وأراهم الله تبارك وتعالى برهاناً حقيقياً على أن الإنسان يستحقُّ الخلافــــة عن الله في الأرض أكثــــر منهم ، قال تعالى في تتمة الآي في البيان الإلهي :) [illegible] (أي : أسماء الأشياء ، وقيل : اللغات) [illegible] (أي عرض الأشياء، وغلّب العقلاءَ هنا تكريماً لهم) [illegible] (فردُّوا العلمَ إلى الله ، قال الله تبارك وتعالى :) [illegible] ( ]سورة البقرة[، لذلك استحق سيدنا آدم عليه السلام أن يكون خليفة الله ، أعطاه شيئاً لم يعطه أحداً غيرَه ؛ وهو أسرار هذا الوجود التي يمكن للإنسان أن يطَّلِعَ عليها ، وأن يستخدمها ، وقال الله تعالى :) [illegible]

---

[1] انظر : (سنن الإمام أبي داود) 5/389 رقم (3270) ،كتاب تفسير القرآن الكريم ، باب ومن سورة الحجرات ، عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

[illegible] ( ] الآية62من سورة النمل[، نزلت هذه الآية في قضية أن البشر هم خلفاء الله في الأرض ، والمقصود بهم الناس الصالحون ، وليس سيدنا آدم عليه السلام فحسب كي لا يأتينا سائلٌ فيقول : إذا كان الله اختار سيدنا آدم عليه السلام خليفةً له في الأرض فما بالنا نحن ؟! نحن لا علاقة لنا بهذا الموضوع !!

والجواب : أننا إذا كنا صالحين كأبينا سيدنا آدم عليه السلام فنحن خلفاء الله في الأرض ، قال الله تعالى :) [illegible] (أي : أبناء آدم الصالحين ، ولم يقل : آدم فحسب.

فالإنسان الحضاري هو محور الموضوع ، وهو الغاية في التكريم خَلْقياً وعدلاً وخلافةً .

هذا ؛ وقد أنكر بعض المفسرين من العلماء معنى الخلافة عن الله في الأرض ، وحجروها على معنىً آخر ؛ وهو أن الله عزّ وجلّ جاعلٌ في الأرض خلائق وموجودات يخلُف بعضُها بعضاً ، فكلُّ جيل من هذه الأجيال خليفةٌ عمن سبقه ، كما يخلُف الابنُ أباه ، ولكنّ هذا الذي قالوه زعمٌ فاسدٌ، لا تدلُّ عليه صراحةً ولا دلالةً ولا اقتضاءً النصوصُ القرآنيةُ ولا الأحاديثُ النبويةُ الصحيحةُ ، فإن الآية في هذا المساق لم تُنـزَّل من أجل هذا المعنى البسيط الجزئيّ الذي لا يُقدّم ولا يؤخّر ، فبلاغةُ القرآن أعظمُ من هذا وأجلُّ ، وإنما نزلت الآية - والله أعلم بذلك - من أجل ترسيخ خلافة الإنسان عن الله في الأرض ، ومعنى الخلافة هنا عن الله القيامُ على إعمار الأرض ، وتوطيد العدل ، وإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، بما أمرَ الله عزّ وجلّ وأذنَ به ؛ بحيث يكون الإنسانُ السويُّ الصالحُ يعمل في هذه الحياة على هدىً من الله عزّ وجلّ ونورٍ منه ؛ لا يَتخبّط في أعماله ، ولا يُماري في أقواله ، فهو حينئذٍ يدُ الله عزّ وجلّ ويمينُه بالمعنى الإيماني ، وبدون تجسيدٍ ولا تشبيهٍ كما جاء في الحديث النبوي : ((. . . وما يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه ، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمعُ به ، وبصرُه الذي يبصر به ، ويدُه التي يبطش بها ،ورجلُه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه . . .))[1] ، والخلافة هنا خلافة رمزيّة تُشير إلى معنى قوله تعالى:) [illegible] ( ] الآية129من سورة الأعراف[، فكلُّ عبدٍ لله قام بمقتضى العبودية الحقِّ له ســبحانه وحده فعبوديتُه عينُ الحريّة ؛ ينعتق بها عن كلِّ عبوديّـــــــة لغيــــر الله عزّ وجلّ ، فيســـتحقُّ حينئذٍ أن ينال شرف قوله تعالى :) [illegible] ( ]الآية129من سورة الأعراف[.

على أن هذا المعنى الرمزيّ في الآيةِ ليس بديلاً عن المعنى الحق في الآية الكريمة ، بل هو رديف له ، ولكنه يحتاج إلى فهمٍ عميقٍ لهذه الحقائق ، يرتقي به إلى معارج الحبِّ الإلهيِّ الذي يغمسه في بحار من نور ، فينظر في ذاته فإذا هو قد اكتمل فيه

---

[1] انظر : (صحيح الإمام البخاري) 5/2384 رقم (6137) ،كتاب الرقاق ، باب التواضع ، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

هذا الفهم ، وأصبح محلاً للإشراقات الإلهية، يسبح في عوالم النور ، ويتغذّى بهذا النور ، ويرتع في بحبوحة هذا النور ، فتمتزج فيه أباطيل الواقع مع حقائق الإيمان ، فيصطرعان ، فتغلب حقائقُ الإيمان والإحسان والعرفان أباطيلَ الواقع ، وربما كان هذا الأمر يحتاج إلى قَدْرٍ كبيرٍ من التوازن ، وقَدْرٍ كبيرٍ من قوة العقل وهمّة القلب ، ولعلّي أطلْتُ قليلاً في هذا الشأن ؛ لأني لم أرَ من سبقني إليه من الباحثين ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله ذو فضل عظيم .

المطلب الثالث : الحضارة في ثوبها الجديد

لكي يكون المجتمع حضارياً يجب أن يكون الإنسان حضارياً قبلُ ، ومشكلة العالم اليوم هو انتشار الإنسان المتخلف وقِلّةُ الإنسان الحضاري .

وقد سبق أن عَرّفت الحضارة تعريفاً جامعاً مانعاً بعد أن استقريت تعريفات الحضارة لدى كثير من المفكرين والعلماء الأقدمين والمعاصرين ، واستنبطت بفضل الله وتوفيقه قاسماً مشتركاً أعظماً ،جعلته تعريفاً جامعاً لأجزاءِ وأفرادِ مُعَرَّفِهِ ، ومانعاً من دخول غيره عليه ، وهو :

(الحضارة : تطوّر فكريّ وروحيّ وماديّ معاً ، لأمةٍ من الأمم ؛ أفرادٍ ، وجماعات، عبر العصور ، يقتضي إسعاد الإنسان ، وتحقيق خلافته وسيادته على هذا الوجود في الدنيا ، وتحقيق الفوز والقرب من الخالق العظيم في الآخرة) .

الفرع الأول : الإنسان الكامل

فمن هو الإنسان الكامل ؟ يأتي الجواب في الآية : ( ) ، لننظر إلى هذه اللفتة القرآنية الكريمة : ( ) ، ومن أعظم من الله شهادة ؟! لذلك كانت أعظم آية في كتاب الله على قول بعض العلماء لأنها شـــــهادة الله على نفسه ، ( ) فقرن اللهُ الْمَلاَئِكَةَ وَأُولي العِلم بذاته العلية سبحانه وتعالى ، وعلى رأس أولي العلم يأتي الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، فهم داخلون ضمناً ، لأنهم على رأس أولي العلم ، وأوتوا فوقَ العلمِ النبوةَ والتبليغَ عن الله سبحانه وتعالى .

إذاً الإنسان الحضاري هو من أولي العلم وهذه هي الصفة الأولى أو الخصلة الأولى التي يجب أن تقوم في الإنسان الحضاري .

فإنسان جاهل ليس إنساناً حضارياً ، وإنسان متخلف عقلياً أو ثقافياً أو فكرياً ليس إنساناً حضارياً ، العلمُ قيمةٌ مقدّسةٌ في القرآن والسنة ، وقيمةٌ مقدسةٌ في الفكر الإسلامي كلِّه ، تضافرت على ذلك الأدلة والحجج الدامغة ، فهل نستطيع أن نبني إنساناً حضارياً دون أن يكون من أهل العلم ؟ ودون أن يكون من المتميزين في العلم والثقافة والدرس والتحصيل ؟ وهل نستطيع أن نبني مجتمعاً حضارياً أو أمةً حضاريةً وهي جاهلةٌ أو أميّةٌ لا تقرأ ولا تكتب ؟! كيف يكون ذلك ؟

لقد قال بعض المفكرين المعاصرين : (إن الأمي اليوم هو الذي لا يتقن لغةً أخرى !) ، إنني أعرف كثيراً من الناس ممن يتقن عدة لغات ، يتكلم بها كما يتكلم بلغته الأصلية ، وهذا شيء جاء به الإسلام من قبل ، فالنبي عليه الصلاة والسلام أمر الصحابي الجليل سيدنا زيداً بن الحارثة فقال : ((يا زيد ؛ تعلم لي كتاب يهود ، فإني والله ما آمن يهود على كتابي)) قال زيد : (فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب)[1] ، أي : العبرانية ، فتعلّمها في هذه المدة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامة لسيدنا زيد بن حارثة .

الفرع الثاني : كيف يُصنع الإنسان الحضاري :

ترى هل يكفي العلم وحده ؟

العلم وحده لا يكفي ، لا بد مع العلم من إيمانٍ ، كقاعدةٍ لهذا العلم ينطلق منها ، وأن يكون مع الإيمان أيضاً عَملٌ صالح ، وأن يكون مع العمل الصالح تواصٍ بالحق وتواصٍ بالخير ؛ قال الله تعالى : ([illegible]) [سورة العصر] .

هذه سورةٌ لو قرأها الناس وتدبّروها لوسعتهم ، كما جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله ورضي عنه[2]، فالإنسان الحضاري بموجب هذه السورة - أي بمقتضى هذه السورة - هو المؤمن الذي يعمل الصالحات ويتواصى مع إخوانه بالحق وبالصبر ، فإذاً ؛ هو يصنع في نفسه الإنسان الحضاري ، ويصنع مع إخوانه الجماعة الحضارية ، ثم هناك نعوتٌ وأوصافٌ أخرى للإنسان الحضاري وردت في فواتح سورة البقرة ، وليس بمستغربٍ أن يبدأ القرآن الكريم بسورة البقرة وأن تَستَهِلَّ سورةُ البقرةِ بيانهَا القرآنيَّ بهذه الآيات ، وهذا ليس عبثاً ، قالَ الله تعالى : ([illegible]) [سورة البقرة] ، ويتساءل المرء حينما يسمع هذه الآية : من هم المتقون هؤلاء الذين فازوا في أواخر هذه الآيات الخمس بالفلاح بالفوز في الدنيا والآخرة ؟ من هم هؤلاء المفلحون ؟ سمَّاهم الله في طالعة السورة الْمُتَّقُونَ وسَّماهم في نهاية هذه الآيات الخمس من السورة : الْمُفْلِحُونَ ، فمن هم ؟

كل منَّا يريد أن يكون من الُمفلحين ، من منا لا يشتهي ويتمنى الفلاحَ والفوز في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ([illegible]

---

1 انظر : (مسند الإمام أحمد) 5/186 رقم (21658) ، و(التاريخ الكبير) للإمام البخاري 3/380 رقم (1278) بهذا اللفظ ، وفي (سنن الإمام أبي داود) و(المستدرك) للحاكم و(السنن الكبرى) للبيهقي لغيرهم بنحو هذا اللفظ .

2 انظر : (تفسير القرآن العظيم) للحافظ ابن كثير 4/548 ، في تفسير سورة العصر .

([illegible]) [سورة البقرة] .

إذاً ؛ لكي يكون الإنسان من المتقين ومن المفلحين فيكون إنساناً حضارياً يجب أن يتحلى بالصفات التالية :

1- الإيمان بالغيب ، 2- والإيمان بما أنزل الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، 3- والإيمان بما أنزل من قبله على الرسل والأنبياء من الشرائع السماوية، 4- والإيمان باليوم الآخر ، 5- وإقامة الصلاة ، 6- ثم إيتاء الزكاة والصدقات ، 7- ويضاف إلى ذلك أركان الإسلام التي تتبع ذلك . . .

هذه هي الأمور الأساس التي يتصف بها الذين قال الله عنهم :

([illegible]) [سورة البقرة] .

الفرع الثالث : الإنسان الحضاري هو الإمام :

قال الله تبارك وتعالى عن سيدنا إبراهيم : ([illegible]) [الآية124من سورة البقرة] ، فقوله : ([illegible]) ؛ هذا من تقديم ما حقه التأخير ، ([illegible]): ابتلاه أي امتحنه ، ويأتي في ختامِ الرسلِ والأنبياءِ وعلى رأسِهم جميعاً نبيُّنا محمدٌ صلوات اللهَ وسلامهَ عليه ، لكن سيدَنا محمداً بنَ عبد الله صلوات الله وسلامه عليه - النبيَّ العربيَّ العالميَّ الخاتمَ -لم يأتِ ليهدم كلَّ شيء ، وإنما جاء ليُتمّمَ الشريعةَ السماويةَ ، والوحيَ الإلهيَّ الأعلى ، ويُعمّقَ مجرى التوحيد ، ويُعلّمَ الناسَ مكارمَ الأخلاق ، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : ((إن مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياءِ من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية – يعني تركها فلم يضع في مكانها شيئاً –فجعل الناس يطوفون به ، ويَعجَبُون له ، ويقولون : هلاّ وُضِعَت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيّين))[1]، وهكذا يأتي صلوات الله وسلامه عليه على رأس الرسالات السماوية الإلهية الخالدة ، وعلى رأس الأنبياء والمرسلين ؛ مصدِّقاً لما جاؤوا به ، ومهيمناً عليه ، ومتمّماً له .

إذاً ؛ فالرسلُ والأنبياءُ عليهم صلوات الله وسلامه وخاتمُهم سيّدُنا محمدٌ صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه هم في الحقيقة المجردة - دون نظرٍ إلى أمورٍ شخصيةٍ أو اعتبارٍ آخر - هم الصنفُ الأعلى من الإنسان الكامل ؛ هم الصنفُ الأعلى من الخلفاء عن الله تعالى في الأرض ؛ هم خلفاء الله في أرضه على وجه التحقيق ، وهم كذلك المعيار الصحيح لهذا الإنسان الخليفة أو الإنسان الحضاري .

هذا هو المعيار ، فمن اقترب من هذا المعيار اقترب من الحضارة الحق ، ومن ابتعد عن هذا المعيار فقد ابتعد عن الحضارة الحق ، وأصبح في وادي التخلف والنسيان والضياع .

المطلب الرابع : شروط الإنسان الحضاري :

1 متفق عليه .

الإنسان الحضاري له شروط لا يتحقق هذا الوصف به إلا إذا تحقق شرطه[1] ، فما هي الشروط التي يجب أن تتحقق في الإنسان الحضاري ليكون إنساناً حضارياً ؟

هذه الشروطُ هي خمسةٌ ثبتت لديَّ ولدى الباحثين والمفكرين الإسلاميين القدامى والمعاصرين بالاستقراء ؛

الشرط الأول : العلم الصحيح : لا بد أولاً من العلم الصحيح القائم على قاعدةٍ عقدية صحيحة من الإيمان ، فعلمٌ بلا إيمانٍ بناءٌ بلا أساس ، وإيمانٌ بلا علمٍ أساسٌ بلا بناء ، ونحن نريد البناءَ القائم على أساس متين ، والإيمان الحق هو هذا الأساس المتين .

نحن نريد من الإنسان الحضاري عِلماً صحيحاً وليس افتراضاتٍ وتخميناتٍ - مثال ذلك المعيار الذي يستند إليه كثيرٌ من المستشرقين ، وكثيرٌ من الباحثين غير المنصفين وهو منهج التوسم والاسترداد ، وهو منهج مرفوض لأنه يقوم على الظن والوهم - إننا نريد من العلم الصحيح سُنناً وقوانينَ ودساتيرَ قطعية ، لا نريد أوهاماً ، فكل شيءٍ يقوم على الوهم فهو وهم ، وحسبكم مثالاً على ذلك نظرية دارون[2] التي قامت على مجموعة من الأوهام سرعان ما سقطت وأصبحت في مزبلة التاريخ .

الشرط الثاني : الحكمة العلمية والعملية ؛ فالحكمة العلمية هي : ربط المسببات بأسبابها ، وربط الأسباب بمسبباتها ربطاً عادياً عند المنصفين من العقلاء ، وربطاً عقلياً عند كثير من الباحثين ، وهذا أمرٌ مختلفٌ فيه - كما اختلفوا في الموت هل هو وجودي أم عدمي ؟ ، والراجح أنه وجودي - وهنا الراجح أن الربطَ

---

[1] ومعلوم أن الشرط لغةً : (العلامة) وشرعاً : (ما يتعلق بالوجود دون الوجوب) أي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويوجد عنده ولا يثبت به ، وتعريفه عند علماء أصول الفقه هو : (ما يجب من عدمه العدم ، ولا يجب من وجوده وجود ولا عدم) هذا هو **الشرط الشرعي الاصطلاحي**، كالوضوء للصلاة ، فإذا انعدم الوضوء انعدمت صحة الصلاة ، وليس بالضرورة إذا وجد الوضوء ستوجد الصلاة ، انظر : كتابنا (الوجيز في أصول استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية)= =2/395، دار البشائر دمشق 1422هـ 2002م ط2 . ولكنَّ الشرط هنا ليس الشرط الشرعي في هذا الاصطلاح ، ولا مُشاحة في الاصطلاح ، فالشرط هنا هو **الشرط العقلي ،** ونريد به ما يدور معه الشيء عدماً لا وجوداً . قال في المعجم الفلسفي : (الشرط في الاصطلاح الفلسفي : ما يتوقف عليه الشيء من حيث الوجود والمعرفة ، . . . والشرط عند الحكماء قسم من العلة لذلك قال الغزالي : الشرط هو ما لا يوجد الشيء بدونه ولا يلزم أن يوجد عنده ، ولذلك قال الرازي : هو ما يتوقف عليه تأثير المؤثر لا وجوده ، . . . وقد يطلق الشرط على القول الذي يتوقف عليه صدق قول آخر بحيث إذا كان الأول كاذباً كان الثاني كاذباً . . .) 1/696 وما بعدها . وقال الجرجاني : (الشرط تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني ، وقيل : الشرط ما يتوقف عليه وجودالشيء ويكون خارجاً عن ماهيته ولا يكون مؤثراً في وجوده ، وقيل أيضاً : الشرط ما يتوقف ثبوت الحكم عليه) انظر (التعريفات) ص166 ، دار الكتاب العربي بيروت ، ت إبراهيم البياري ، ط2 ، 1413هـ 1992م .

[2] انظر : كتاب العالم البيولوجي "مايكل دنتون" (التطور: نظرية في أزمة) ، وغيره من المؤلفات الكثيرة التي صدرت عالمياً عن عدد من العلماء من مختلف الاختصاصات .

عاديٌّ وليس عقلياً ، والربط العادي قد يتخلف ولكن هذا التخلف يكون بإرادة الله تبارك وتعالى .

وأما الحكمة العملية فهي : (فعل ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، على الوجه الذي ينبغي) . إذاً هذا يستند إلى العقل ، والعقل هو الذي تعَّبدَ اللهُ به بني آدمَ وكلّفَهم به ، فهو مناط التكليف ، ولذلك لم يُكلّف الله سبحانه وتعالى العجماواتِ ، ولم يُكلّف النبات ، ولم يُكلّف الجماد ، ولم يُكلّف إلا الإنسان والجان لأنه أعطاهم العقل ؛ به يفكرون ، وبه يعقلون ، ويحاسبهم بمقدار ما أعطاهم من هذا العقل .

ولذلك لا يجوز أن نقف عند المنقولات فقط ، وإنما نستشهد بالمنقولات ، ونستخدم روايتها للاستدلال لمن يؤمن بها على ما نريد أن نصل إليه .

وأما المعقولات فهي الأساسُ في العلم ، ولذلك يقول الإمام الشهاب القرافي : (الجمود على المنقولات أبداً ضلالٌ في الدين وخروجٌ عن سَنَنِ المهتدين) .

فلا بد من العقل إلى جانب النقل ، والنقل إنما هو دليل من الأدلة التي نريد أن نصلَ فيها إلى المُبْتَغَى والمطلوب ، ولكنه ليس كل شيء .

الشرط الثالث : تزكية النفس : الإنسانُ الحضاريُّ يُشتَرَطُ فيه أن تكونَ نفسُهُ مزكّاةً ، والتزكية إنما تكون من الله تبارك وتعالى .

قال الله تعالى :) [illegible] ( ]سورة الشمس[، وهذا يكون على يد الأنبياء والرسل ، ثم على يد ورثتهم من العلماء العاملين ، والله وصف نبيَّه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه :) [illegible] ( ] سورة آل عمران[.

فمن وظائفه صلى الله عليه وسلم أنه مرشدُ البشرية ومزكّيِّهَا أي مزكّي نفوسها، حتى تصل إلى النفسِ المطمئنة ، ثم إلى النفسِ الكاملة ، ثم إلى النفس العارفة ، بقدر ما يستطيع المرء ويُكتبَ له من التوفيق .

فالإنسان الحضاري هو ذو النفس المزكاة ، أما النفسُ الشريرة فلا تكون حضاريةً ، ولم نجدْ إنساناً شريراً عدوانياً يكون يوماً ما حضارياً !

الشرط الرابع : الوسطية والتوازن : ومن شروط الإنسان الحضاري الوسطية والتوازن ، قال تعالى :) [illegible] ( ] الآية143من سورة البقرة[، أي : عدولاً ، والوسطية بمعنى العدالة ؛ بمعنى ترك الغلوِّ والانحلال ، ترك التطرُّف في كلّ شيء .بينما التوازنُ هو ثمرة الوسطية ، فإذا تحققت

الوسطية وانتفى الإفراط والتفريط تحقّق التوازن ، وإذا تحقّق التوازن تحققت العدالة ، وكُتب لهذا الإنسان التوفيق ، وما لم يحصل ذلك على هذا الوجه - بأن جنح الإنسان إلى جانب الغلوّ مثلاً - وقع فريسةً للوهم وللهوى ، فأصبح إلهُهُ هواهُ ، ولم يعد له ضابط يضبط أعماله .

ولكن يُستثنى من ذلك كلِّه حالاتٌ معدودة ، يَكثُر فيها الغلو والتطرف ، أو الانحلال مثلاً ، يستمر هذا الأمر قائماً يقوده الهوى والشيطان في هذا الإنسان الظالم لنفسه ، ولربما أتى من يُذكّره بخطره فتمرّد وأعرض بجانبه ، حينئذٍ سمح الشارع أن يُعالج هذا الأمر بضدِّه وعكسه بقوةٍ ؛ بحيث لا تسامُح فيه ولا تساهل حتى تتغير ما لدى هذا الإنسان من نظرات وآراء أساسها الهوى والتشهّي ، حين تقرعه مقارع الحقّ وتأطره عن الباطل ، وحينئذٍ لا يُسمح أبداً بحلول وسط ، بل لا بدّ من معالجة تطرّفٍ بتطرّفٍ آخر معاكس ، بصورة مؤقّتة ، حتى يرتدع ذلك الجاني على نفسه ، ويجنح إلى الوسطية والاعتدال ، ويرجع إلى الحق موقناً بما فيه ، وأنه كان على باطل .

هذه القضية المهمّة جداً عالجها المفكرون الإسلاميون من قبل في كتاباتهم الرائعة، وعلى رأسهم الإمام أبو إسحاق الشاطبي في (الموافقات) ، حيث خصص لهذا الموضوع فصلاً كاملاً مطولاً ماتعاً ، أطنب فيه وأشبع البحث ، فرحمه الله وأجزل مثوبته .

قلت : وهذه الحالات استثنائيّةٌ ، يُحتاج إليها أحياناً ، إذا دعت الحاجة أو الضرورة، كأكل لحم الميتة عند المخمصة ، وإذا زال العذر رجع الأمر إلى ما كان عليه من التوسط والاعتدال .

الشرط الخامس : الاستعلاء على الذات : ومن شروط الإنسان الحضاري الاستعلاء على الذات ، وهذا أهم الشروط بعد الإيمان والعلم ، وأعظمُها ، وأشدُّها تأثيراً ، وهذا هو التفوُّق الحضاري ؛ فمن ليس له استعلاء على الذات - أي صاحب الأثرة والأنانية - ليس بحضاريٍّ مهما اتصف ، ومهما قام بجهدٍ ، ومهما بذل من عمل ، طالما هو منغلق على نفسه ، متقوقعٌ عليها .

والاستعلاء على الذات هو : الانفتاح على الغير ، والانفتاح نحو الغير ، ومحبة الغير، وإرادة الخير للناس جميعاً ؛ على جميع مذاهبهم ، ومللهم ، وأديانهم ، وآرائهم ، وأفكارهم ؛ قد نختلف ولكنَّ هذا الخلاف لا يفسد للود قضية .

هذا هو البعد الإنساني الذي جاء به الإسلام ، هذا هو البعد الإنساني الذي يجعل من الإنسان حضارياً بالضرورة .

المطلب الخامس : البعد الإنساني في الإنسان الحضاري :

وهو الانفتاح نحو الإنسان، أي نحو الناس جميعاً ، وفي ذلك قول سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وهو قانون من قوانين هذا الوجود : ((الخلقُ كلُّهم عيالُ الله , وأحبُّهم إلى الله أنفعُهم لعياله

))[1]، إن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يُقرّر لنا هذاالقانون ويريد أن يُفهمنا العمل بموجبه وبمقتضاه ؛ ((الخلقُ كلُّهم عيالُ الله , وأحبُّهم إلى الله أنفعُهم لعياله)) ، فبقدر ما تنفع عيال الله تكون محبوباً عند الله ، وبقدر ما ترحم عباد الله تكون محبوباً عند الله ، وبقدر ما يستفيد منك عيال الله بقدر ما تتقرب بهم إلى الله .

ولم يكتف الإسلامُ بأن يكون المرءُ منفتحاً على الإنسان ؛ على أخيه الإنسان ، وإنما أن ينفتح قلبه وعقله ونفسه نحو الحيوان والنبات والجماد ؛

فالحيوان الذي أباح الله لنا أن نأكل لحمه كالغنم أمرنا أن نُذَكِّيَه تذكيةً طيّبةً، فقد قال عليه الصلاة والسلام : ((إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلةَ ، وإذا ذبحتم فأحسـنوا الذّبح ، وليُحِدّ أحدُكم شـفرتَه ، فليُرِحْ ذبيحته))[2] ، ولذلك كرَّه الإسلامُ أن نذبحَ شاةً أمام شاةٍ ، ولننظر في رحمة الله بخلقه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من أحد يقتل عصفوراً إلا عجَّ يوم القيامة ، يقول : يا ربِّ ؛ هذا قتلني عبثاً ، فلا هو انتفع بقتلي ، ولا هو تركني فأعيش في أرضك))[3] . ويقول عليه الصلاة والسلام : ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت هزلاً))[4] ، والإسلام يدعو إلى الرفق في كل شيء حتى في الحيوان ، يقول رسول الله صلى الله عليه : ((لا تتخذوا الدواب كراسيّ))[5] . أي لا تقفوا عليها . . . كل ذلك وغيره في الآثار النبوية ليدلنا على مدى سعة الإسلام .

بل وأقام للأشياء اعتباراً حتى الجمادات فقد قرر الإسلام الحضاري ، قرر في التنـزيل أن كلَّ شيءٍ له روحٌ ، ولكن روحٌ تليق به خلقاً وتكويناً ووظيفةً ، قال الله تعالى : ([illegible]) [الآية 44من سورة الإسراء] ، وأَنْشُدُكُمْ الله ؛ هل يُسبح شيءٌ دون أن يكون فيه روح ؟! إذا لم تكن فيه روح فكيف يُسبِّح ؟! ولكننا لا نفقه تسبيحه ؛ الجمادات تُسبِّح ، النباتات تُسبِّح ، الحيوانات تُسبِّح ،يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فرُبّ راكبٍ مركوبةٍ

---

1 سبق تخريجه .

2 انظر : (صحيح الإمام مسلم) 3/1548 رقم (1955) ،كتاب الصيد والذبائح وما يُؤكل من الحيوان ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ، عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه .

3 انظر : (مجمع الزوائد) للحافظ ابن حجر الهيثمي 4/30 ،كتاب الصيد والذبائح ، باب في من قتل حيوانا بغير منفعة ، عن عمر بن يزيد أبيه رضي الله عنه ، قال الهيثمي : (رواه الطبراني في الكبير ، وفيه جماعةٌ لم أعرفهم) .

4 متفق عليه واللفظ للإمام مسلم .

5 انظر : (مسند الإمام أحمد) 3/441 رقم (15688) ، عن سيدنا أنس رضي الله عنه . وفي (مصنف ابن أبي شيبة) عن عطاء بن دينار قال : قال رسول الله ﷺ : **((لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي لأحاديثكم))** 5/267 رقم (25965) .

هي خيرٌ منه ، وأطوعُ لله ، وأكثرُ ذكراً))[1] ، الإنسان بفطرته يُسبِّح - ولو كان كافراً - فإن فطرتَه تجعلُه يُسبّحُ ، كلُّ شيءٍ فيك يُسبِّح خالقَه ، وكذلك الجانُّ والملائكةُ :) [illegible] ([الآية44من سورة الإسراء] .

يقول العلماء : هناك روح جمادية وروح نباتية وروح حيوانية . سلّم نرتقي به ، كل روح تشتمل على الروح التي قبلها وتزيد عليها روحاً جديدة ؛ الروح النباتية أعلى من الروح الجمادية ، والروح الحيوانية تشتمل على الروحين وهي أعلى منها ، والروح الإنسانية تشتمل على الأرواح الثلاثة الأولى وتزيد عليها الروحَ العاقلةَ المدركة ، وهكذا . . .[2]

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم كما هو معروف في سيرته العطرة يُسمي الأشياءَ والدوابَّ ؛ فكان له حمار اسمه دُلدُل ، وناقة كان اسمها القصواء ، وناقة أخرى اسمها العضباء ، وكان يسمي ثوبه[3] .

لماذا ؟

ليشعرنا أن هذا الذي سماه ليس ميتاً ، بل فيه روح ، ونحن مطالبون بأن نتعامل معه على هذا الأساس ، وأن نُحسن معاملته على هذا الأساس أيضاً .

فالإسلام إذاً لم ينظر في تكريمه للإنسان ولبقية المخلوقات ؛ لا إلى دين ، ولا إلى مذهب ، ولا إلى رأي ، ولا إلى خلاف ، ولا إلى وفاق ، إنما نظر نظرةً شاملةً عامةً ذاتَ بُعْدٍ إنسانيٍّ عظيم ، لم يُوجد في أيِّ نظامٍ آخرَ ؛ وضعيٍّ ، أو غيرِه . . .

المطلب السادس : الحاجة إلى بناء الإنسان الحضاري :

بعد هذا الذي ذكرت يجمُل بي أن أتحدث عن ضرورة بناء الإنسان الحضاري ، فهل نحن الآن بحاجة إلى الإنسان الحضاري أم لا ؟

هذا سؤال يطرح نفسه في الساحة ، تُرى ؛ لعلَّ إنساناً يقول : نحن لا نحتاج إلى الإنسان الحضاري ؟! أيُّ إنسانٍ يفي بالغرض ! المهمُّ أنْ يكونَ إنساناً ؛ ولو كان شريراً ، ولو كان فاسداً ، ولو كان فاسقاً ، ولو كان فاجراً !! والجواب أن هذا يضرّ ولا ينفع ، يؤذي ولا يصلح ، فلا بد أن نصلحه ، إن هذا ليس خصماً

---

[1] انظر : (مصنف ابن أبي شيبة) 5/267 رقم (25965) عن عطاء بن دينار ، وفي (مسند الإمام أحمد) عن سيدنا أنس رضي الله عنه بلفظ : **((فرُبّ مركوبةٍ عليها هي أكثرُ ذكراً لله تعالى من راكبها))** 3/441 رقم (15688) .

[2] انظر : (المواقف في علم الكلام) للعضد الإيجي و (شرح المواقف) للسيد الشريف الجرجاني 7/180-260 ، دار الكتب العلمية بيروت ط1 ، 1419هـ 1998م .

[3] انظر : (الجامع الصغير) للإمام السيوطي وشرحه (فيض القدير) للحافظ المناوي عند رقم الحديث (8960) حتى رقم (8964) و (9950) ، وانظر (صفة الصفوة) للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي 1/151 ، وغيرها .

لنا ! هذا أحد أولادنا ، ولكنه عقَّ أبويه فيجبُ إصلاحُهُ ، وهدايتُه ، والدعاءُ له ، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنةِ ، فالإنسان الصالح أو الكامل هو كالوالد لغيره من الذين لم تَصِلْ نفوسُهم إلى هذه الدرجة من التزكية ؛ يُحبُّهم ، ويُشْفِقُ عليهم ، يرى أنهم على انحراف واعوجاج ؛ فيأخذهم باللين والحكمة تارةً ، ويأخذهم بالإقناع والحجة تارةً ، وبالقدوة الصالحة تارةً أخرى ، حتى يرعَوُوا ويرجِعُوا إلى الله تائبين ، وهذا هو المطلوب .

إنّ تحدياتِ العصر تُوجِبُ الوقوفَ مع الذاتِ ومحاسَبَتها ؛ تُوجِبُ علينا أن نقفَ مع ذاتنا ، وأن نحاسِبَها ، فهنالك تخلّفٌ موجودٌ في المسلمين وفي غيرهم ، وهذا خطرٌ على البشرية كلِّها ، وليس على المسلمين فحسب ، خطرٌ يوجب إعادة النظر في بناء الإنسان الحضاري ؛ لنقيم به وبغيره من الناس الحضاريين الجماعةَ الحضاريةَ ، والمجتمعَ الحضاريَّ الذي تصبو إليه الأممُ كلُّها ، هَيئةَ الأممِ الحضاريةَ ، المدينةَ الفاضلةَ التي صبا إليها الفلاسفةُ والمفكرون ، وإنما حقّقها الإسلامُ على أرض الواقع .

إن المدنيةَ الحديثةَ لم تبنِ الإنسانَ الحضاريَّ ، ولمّا ، ولن تبنيَ الإنسانَ الحضاريَّ ، ولعلكم سمعتم قصةَ كلبِ أحدِ الزُّعماءِ العالميين الذي أصبحَ مضربَ المثلِ في دلالِهِ ليس على صاحبِهِ فقط ، وإنما على خمسين ولايةً ، وخمسين دولةً ، وعلى أمم أخرى ، أفهذا ترونه بناءً للإنسانِ الحضاريَّ ؟! وهنالك الملايين من الجياع يتضوَّرون جوعاً في إفريقية وفي غيرها ، اترون هذا حضارةً ؟!

إنه ليس بحضارةٍ ، ولا بمدنيةٍ ، ولو سميناه زوراً وبهتاناً حضارةً ومدنيةً .

إن هؤلاء ينبغي هدايَتُهُم بالإسلام الحقِّ إلى جادة الصواب ؛ فالبشريةُ اليومَ كلُّها - بما فيها الدول العظمى - لمّا افتقرت في نفسها إلى المدينة الفاضلة ؛ تتطلّعُ اليومَ إلى الإسلامِ الذي بَنَى فعلاً على أرض الواقع المجتمعَ الحضاريَّ ، بعد أن بنى الإنسانَ الحضاريَّ في التَّاريخ ، ولا تتطلّعوا إلى كثيرٍ من المسلمين اليوم ؛ لأنهم لم يحقِّقوا في أنفسهم ما حقّقَه الإسلامُ في أجدادهم ، وفي تاريخهم ، وفي حضارتهم ، بل تتطلّعوا إلى الإسلام الذي حقّق الحضارةَ والإنسانَ الحضاريّ .

بناءُ الإنسانِ الحضاريِّ اليومَ هو المُنقذُ الوحيدُ ، ليس للعرب فحسب ، ولا للمسلمين فحسب ، وإنما للبشرية كلها ؛ فالبشريةُ اليومَ إمَّا أن تكون وإمّا أن لا تكون ؛ إن البشريةَ اليومَ مهددةٌ بالدمارِ الشاملِ ، ويحتاجُ الأمر إلى إنقاذٍ ، والإنقاذ يحتاج إلى تعاون بين المفكرين الإسلاميين وغيرهم ؛ حينما يستعملون الحكمة ؛ لا بُدَّ للمفكرين الإسلاميين أن يســـتعملوا الحكمة ، وأن يبتعدوا عن العنف ، عملاً بقول الله تعالى : ([illegible]) [الآية125من سورة النحل] ، ووحدَنا لا نستطيعُ ذلك ، بل لا بد لنا من أن نتعاون مع الغير ، لكن من الذي يكون رائد هذا الإنقاذ ، إنَّ الريادةَ يَجِبُ أن

تكونَ بيد العرب المسلمين ، بيد الأمة العربية والإسلامية وبزعامتهم ؛ ليُنقذوا العالمَ بالإسلام الذي اعترف بكل الشرائع السماويةِ وهيمن عليها ، ليُنقذ البشرية من الدمار الشامل .

والمطلوب اليوم من العرب والمسلمين في العالم أن يسيروا في هذا الطريق الحضاريِّ المنيرِ المشرّفِ ؛ لبناء الإنسان الحضاري ، لبناء الفرد الحضاري ، وبناء الجماعة الحضارية ، وبناء المجتمع الإنساني الحضاري ، والمجتمع العربي الإسلامي الإنساني الحضاري ؛ بقيادة الأمة العربية والإسلامية ، قال الله تعالى : ([illegible]) [سورة الزخرف] ، إنها مسؤولية ، إنها تخويل ، إنها تكليف وليست تشريفاً فحسب ، إنها أمانة ، ([illegible]) [سورة الصافات] .

الباب الثالث
معالم المشروع النهضوي
العربي الإسلامي الإنساني
المبحث الأول
أسس النهضة ومعالم المشروع الحضاري الجديد

تصدير : لقد كثر الكلام حول النهضة ، وكثر الكلام حول أوراقها وأبحاثها ورجالها ، وهذا شيءٌ جميلٌ بحدِّ ذاته ، والأجمل منه أن نبحث في النهضة المرتقبة ، وقد سُئلت عن قضية الفكر الحضاري وفقهه : هل هو الفقه بمعنى (الأحكام الشرعية المستمَدَّة من أدلتها التفصيلية) كما يقول علماء الفقه والأصول ؟

والواقع أن الفكر الحضاري أشملُ من ذلك وأعمُّ ، وقد سبق أن عرفنا الفكر الحضاري وقلنا : إن الفكر الحضاري موجود بوجود الإسلام ، جاء مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو ليس شيئاً جديداً من القول أو بدعاً من التفكير ، ولكنه الإسلام بحقائقه ، مصوغٌ بصياغةٍ فقهيةٍ متخصصةٍ ، ولم يفعل الكاتبون والدارسون في هذا العلم أكثرَ مما فَعَلَه أئمة الشريعة وفقهاؤها في الفقه الإسلامي ؛ حيث لهم فضل الصياغة فحسب ، وهو الفهم الحضاري المتقدم المتطور للإسلام . فالإسلام بحد ذاته ليس قديماً حتى يُجدَّد ، أو يقال عنه أنه بحاجة إلى تجديد ، الإسلام شريعة الله ودينه ، ولكن فهمنا لهذا الدين يجب أن يكون فهماً حضارياً متقدماً ، ويُعجبني في ذلك جداً تعريف الإمام أبي حنيفة رحمه الله ورضي عنه للفقه حيث قال : (الفقه : معرفة النفس ما لها وما عليها)[1] .

وحيث يكون فهمنا للإسلام ؛ فهماً ، متقدماً ، متطوراً ، علمياً ، حضارياً ، مع الأخذ بالمرونة والتيسير ، والأخذ بدفع الحرج ورفع الضرر ، ومع حفظ الثوابت في الإسلام ، والأخذ بالمتغيرات بالحكمة ؛ فإن ذلك الفهم يعود علينا ببركات الإسلام العظيم ، وخيراته في الدنيا والآخرة ، وينهض بأمتنا النهضة المرجوة المرتقبة إن شاء الله .

ويتساءل كثير من الناس هل بدأت النهضة حقيقةً ؟ ترى ما هي النهضة ؟ وما هو تعريفها ؟

المطلب الأول : تعريف النهضة :

النهضة لغةً : من نهض بمعنى قام ، ونهض النبت : استوى ، ونهض الطائر : بسط جناحيه ليطير ، والناهض : فرخ العُقاب الذي وفُرَ جناحاه ونهض للطيران ؛ إذاً القاسم المشترك لهذه المعاني كلها هو القيام و التهيُّؤ والنهوض ، والبراحُ من الموضع والقيام عنه، والنهضة في اللغة : الطاقة والقوة . وهذا المعنى يهمنا جداً في التعريف الاصطلاحي، يقال : أنهضه بالشيء : قواه على

---

[1] انظر : (المنثور في القواعد) للعلاّمة بدر الدين الزركشي الشافعي 1/68 حيث قال : (ومن المحاسن قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله : الفقه معرفة النفس مالها وما عليها) ، وانظر : (أبجد العلوم) للقنوجي 2/400 في تعرف الفقه .

النهوض به ، قالت العرب : أنهضت الريحُ السحابَ ساقته وحملته ، قال الشاعر:

باتت تناديه الصَبَا فأقبلا   تنهضه صُعداً ويأبى ثِقَلا[1]

والنهضة اصطلاحاً : هي (حالة حضارية متقدمة تقوم بالأمة في مجموعها ، تستيقظ فيها من سُباتها وجهلها وتخلفها ؛ لتحقق ذاتها ، ولتلحق بركب الحضارات العالمية ، مع الحفاظ على أصالتها وإرثها الحضاري الأصيل ، وعلى مقومات وجودها ، وتفوقها الديني والقومي العربي والإنساني) .

لذلك النهضة شيء غير الدعوة ، فالإسلام دعوة ولكن هذه الدعوة الكبرى تشتمل الأمة العربية والأمة الإسلامية وتشمل أمة الدعوة وأمة الإجابة ، ولكن النهضة مرحلة في مسيرة الأمة العربية تحت ظل الإسلام ، ذلك لأن الطريق التي شقها الإسلام للأمة العربية نحو العزّ والمجد والسؤدد لا تخلو في بعض مراحلها من الفُتور أو السُّبات لعواملَ خارجية ، فلذلك فإن النهضة تُوقظ الأمة من هذا السُّبات والتخلف ، لتلحق بركب الحضارات ، وتتبوَّأ مقعدها تحت الشمس في زعامة العالم بالإسلام العظيم ،وإن النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بأن الله يبعث على رأس كل مئة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها أو أمر دينها[2] ، أي يجدد فهمها لهذا الدين ولفقهها الحضاري ، وكلنا يعلم أن الأمة العربية والإسلامية في تاريخها كانت لها حالات متألِّقة ، وحقَّقت ذاتها في حضاراتٍ كثيرةٍ مختلفةٍ ذاتِ أيْدٍ وقوةٍ ،وكانت تلك الحضارات بتألُّقها تحكم العالم القديم آنئذٍ ، سواءٌ أكان ذلك في دمشق ، أم في بغداد ، أم في القاهرة ، أم في القيروان ، أم في قرطبة ، أم في مراكش . . . وكل ذلك بفضل الإسلام العظيم على هذه الأمة العربية التي أحياها هذا الدين ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس .

لكن في بعض مراحل التاريخ حصل للأمة سُبات وتخلُّف عن ركب المدنية العالمية ، وتجلّى ذلك أحياناً في عهد المماليك ؛ في بعض حقبهم ،وفي بعض سنوات حكمهم ، ولاسيما المماليك المتأخرين ، ثم تجلّى ذلك أحياناً في من حكم بعدهم في بعض حقبهم وتاريخهم .

ويبدأ هذا التخلف والسبات فعلياً - إذا أردنا أن نحدد الموضوع تماماً بدقّةٍ وأن نضع النقاط على الحروف - بدأ منذُ انحسار العرب المسلمين عن الأندلس ، وتجلى في ضياع الأندلس ، ثم ضياع الهند الإسلامية ، ثم ضياع تركيا المسلمة ، ثم ما تبع ذلك

---

1 انظر : (لسان العرب) 7/ 245 ، دار صادر بيروت .

2 أخرجه الإمام أبو داود في (سننه) 4/109 رقم (4291) ، والحاكم النيسابوري في (المستدرك) 4/567-568 رقم (8592-8593) ، والطبراني في (المعجم الأوسط) 6/324 رقم (6527) عن أبي هريرة رضي الله عنه فيما أعلم عن رسول الله قال : **((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))** .

من تفكك وانحلال حتى احتلال إسرائيل لأرض فلسطين العربية المسلمة .

وقد يتوهم المرء أن نهضةً قامت منذ مائة وخمسين سنة أو منذ مائتي سنة ، والواقع أن ما حصل في العالم العربي ، ويذهب البعض إلى تأريخه ، ويذهب البعض إلى توثيقه، ويذهب البعض إلى الافتخار به ، وإنما هو نهضة مدنية بحتة وليست نهضةً حضاريةً ،إنما كانت من باب اتباع الغرب المتفوِّق والانبهار بمدنيته .

ربما أحبَّ بعضُهم أن يوفِّق بين اتباع المدنية الغربية المتفوِّقة آنئذٍ وبين العروبة والإسلام ، ولكن كان الاقتداء بالغربِ المتمدن المتفوِّق هو عنوان تلك المرحلة ، لذلك لا أستطيع أبداً أن أقول إنها كانت نهضة حضارية ، قد تكون نهضةً ولكنها مدنيّة ، ذلك لأن كثيراً من مفاهيم العروبة والإسلام كانت بمنأىً عن تلك النهضة المدنية وبمعزل عنها ، لانبهار أصحابها بالغرب ، أما النهضة الحضارية الحق فلمَّا تأتي بعدُ بوضعها الحقيقي ؛ بوضعها العربي الإسلامي الذي يعيد لنا أمجاد دمشق في حضارتها المتألقة ، وبغداد في حضارتها المتألقة ، وغيرها من قواعد العروبة والإسلام .

والذي مرّ على الأمة العربية - ولاسيما في بلاد الشام - من وثبات كريمة مباركة لا نُنكر فضلها ليست هي النهضة الحضارية الحق ، بل هي إرهاصات النهضة ومقدِّماتها ، لأنه حينما نقول نهضة ينبغي أن تكون حضارية ، أما أن نتقدم أو أن ننهض بناحية من النواحي الحضارية كالصحافة مثلاً ، أو أن ننظر لما لدى الغرب من نظم ، أو أن نتكلم باللغات اللاتينية وغيرها ، فهذا أمرٌ جيدٌ بحدِّ ذاته ، و ليس مرفوضاً ، وهو مدنيةٌ كما قلت ، و لكنه ليس بالحضارة ، الحضارة هي :

1- عنصر مادي مدني ، و 2- عنصر ديني إسلامي ، و 3- عنصر عربي ، و 4- عنصر إنساني ، هذه هي الحضارة ، فما مر إنما هو إرهاص ، وما مر إنما هو مقدمات للنهضة ، إنها نهضةٌ على سبيل المجاز والتسمُّح ، إننا نستبشر بها الخير ، ونتفاءل بها الخير ، ولكن ليست هي النهضة الحضارية المرتقبة التي نصبو إليها ويصبو إليها العالم العربي والإسلامي .

كيف نستطيع أن نوفِّق بين ما فيه العرب والمسلمون في الماضي القريب وبين دعواهم إنها نهضة حضارية أو نهضة على سبيل الإطلاق ، وإن الحديث النبوي الذي يصف حالة العرب والمسلمين في القرنين الماضيين - وكأن الحديث جاء لهذه الفترة بالذات - حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((يا معشر المهاجرين ؛ خمسٌ إذا ابتُليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ؛ لم تظهر الفاحشةُ في قوم قطُّ حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم يَنقُصُوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخذوا بالسنين وشدَّة المؤونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من

السماء ولولا البهائم لم يُمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم))[1]، هذا الحديث يصف حال المسلمين والعرب في الفترة الفائتة التي مرت على العالم العربي والإسلامي ، ثم نذهب فنصف هذه الفترة بأنها نهضة ! هذا مخالف للعقل والنقل ، ولا يقول به منصف ، النهضة الحضارية المرتقبة ينبغي أن تقوم أولاً على العلم والدين والأخلاق ، فأيُّ علمٍ كان لدينا ؟ وأيُّ تديُّن كان لدينا ؟ وأيُّ أخلاقٍ كانت لدينا ؟! وما نقوله في الأعم الأغلب ، وليس بصفة عامّة قطعيّة ، النهضة الحضارية المرتقبة لها قواعد وشروط لمَّا تتحقق في العرب بَعْدُ .

المطلب الثاني : إرهاصات النهضة العربية الإسلامية :

وهذه إرهاصاتها الثلاثة - وأخص بلاد الشام ؛

الإرهاص الأول : الدولة العربية في سورية بعد رحيل الكماليين الأتراك الاتحاديين العلمانيين من بلاد الشام ، وما صاحبها من قيام المجمع العلمي العربي برئاسة الأستاذ محمد كرد علي وثُلَّة من العلماء واللغويين والفقهاء ، وعضوية أكابر المفكرين والعلماء في شتى مذاهبهم وأديانهم ، و قيام مكتب عنبر باعتباره المرحلة الثانوية الوحيدة في دمشق على طراز فريد ، وكذلك يأتي صكُّ العُملة السورية التي كانت في ذلك العهد ، حقيقةً إنه عهدٌ قصيرٌ ، لكنّه عربيُّ الانتماء والنجار ، إسلاميُّ الشّرعة والهُويّة .

الإرهاص الثاني : الثورة السورية الكبرى على الاحتلال الفرنسي بقيادة الشيخ بدر الدين الحسني الروحية ، والشيخ محمد الأشمر العسكرية في دمشق . . .

والإرهاص الثالث : الوحدة بين مصر وسورية نواة للوحدة العربية الكبرى ، لو أنها كانت غير اندماجية - أي أن تكون وحدة ولكن ينبغي أن تكون بالتدرج - أولاً وحدة "كونفدرالية" ، ثم بعد ذلك لا مانع أن تكون اندماجية ، ولو أنها ابتعدت عن بعض السلبيات التي صاحبتها ، لكنّ الوحدة بحدِّ ذاتها إرهاصٌ كبيرٌ ، وذو أهمية عظمى في طريق النهضة العربية الإسلامية المرتقبة .

بقي علينا أن نتعرف على بواكير النهضة ، النهضة لها بواكير كالفاكهة ، بواكير النهضة أي هي قيام الحركات الإصلاحية على مستوى العالم العربي والإسلامي .

---

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في (سننه) 2/1332 رقم (4019) ، والطبراني في (المعجم الأوسط) 5/62 رقم (4671) عن عبد الله بن عمر قال : (أقبل علينا رسول الله فقال : **((يا معشر المهاجرين . . .))** ، قال المنذري في (الترغيب والترهيب) : (رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي من حديث ابن عمر) 1/309 ، وسكت عنه .

المطلب الثالث : الأسس والقواعد التي يجب أن تقوم عليها النهضة العربية المرتقبة : هنالك أسس ثلاثة للنهضة العربية المرتقبة هي ؛

الأساس الأول : القاعدة الأولى للنهضة العربية المرتقبة هي القاعدة الدينية العلمية الخُلقية : و أقصد بذلك أن نهضتنا القادمة لا بد أن تقوم أولاً وقبل كل شيء على مفهوم وقاعدة الدينية العلمية الخُلقية ؛ لأن هذه النهضة المرتقبة ليست ملكاً لأحد ، ولا حكراً على أحد ، ولكن هي أعمُّ من ذلك وأشمل ، إنها ملك للأمة العربية كلِّها، ثم للأمة الإسلامية ، ثم للإنسانية ، فإذا لم تقم هذه النهضة العربية المرتقبة على قاعدة دينية علمية خُلقية فإنها ستنهار فيما بعد ، وأقصد بكلامي هذا التدينَ العلميَّ الأخلاقيَّ ، والتدينُ العلميُّ الأخلاقيُّ يقوم على هذه النقاط التالية :

أولاً : ترشيد الصحوة الإسلامية : بحيث تكون صحوةً إسلاميةً عربيةً أو صحوةً عربيةً إسلاميةً ، هناك من يقدم هذا على هذا والواو لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً ، فيجوز الأمران ، و لكن لا بد من الترشيد ، لا بد أن نقول للناس إن نهضتنا المباركة إنما هي عَوْدٌ إلى مجد العروبة و الإسلام ، فلا والله ما عزّ العربُ إلا بالإسلام ، ولا انتشر الإسلام في العالم إلا على يد العرب المسلمين ، فليس هناك تياران ؛ تيارٌ قوميٌّ ،وتيارٌ إسلاميٌّ ، إنما هو تيار واحد متضافر ، إنما هو ضفيرٌ ؛ سدىً ولحمة ، العروبة والإسلام .

ثانياً : فهم الإسلام فهماً وسطاً علمياً : وسطاً ليس بالغلو ولا بالانحلال ، علمياً لا وجود للخرافة والجاهلية فيه .

ثالثاً : عرض الإسلام بأخلاقه السامية : والمتمثّلة بنبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ [illegible] ﴾ [سورة القلم] ، والذي جاء بالأخلاق السامية ومتمماً لها حيث يقول : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[1] .

الأساس الثاني : القاعدة الثانية للنهضة المرتقبة هي القاعدة المادية والمدنية والعمرانية ، وبناء الإنسان العربي علمياً وفكرياً بالمؤسسات الصالحة ، وأقصد بذلك التمدن والعمران التقنيـــةَ الحديثةَ ، قال الله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الآية60من سورة الأنفال] ، وهو العنصر المادي للحضارة .

لماذا يتفوق علينا الغرب ؟ أو نسمح لهم أن يتفوقوا علينا بمدنيتهم وتقنيتهم الحديثة ونحن أولى بها منهم ؟! إنها علومنا وعلوم أجدادنا يوم كانوا لا يفقهون شيئاً ، والمقصود بالتمدن هو ما يدل على البعد عن البداوة ومفاهيمها ، والأخذ بوسائل العيش الأفضل ، والمقصود بالعمران ليس التفاخر بل سدُّ الحاجات على

---

[1] انظر : (السنن الكبرى) للإمام البيهقي10/191 ، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومثله في (مسند الشهاب القضاعي) وفي (مسند الإمام أحمد) و(مصنف ابن أبي شيبة) : **((صالح الأخلاق))** .

الوجه الأفضل ، والمقصود بالتقنية "التكنولوجيا" الحديثة وأسبابها .

الأساس الثالث : القاعدة الثالثة للنهضة العربية المرتقبة هي القاعدة السياسية والاجتماعية : وأقصد بذلك الوحدة بين العرب بأيِّ شكل من أشكال الوحدة السياسية ، القائمة على وحدة الدين واللغة والمصالح المشتركة ، في وقت لا وجود فيه للدول الضعيفة أو للدول القليلة العدد أو التكتلات الصغيرة ولاسيما ونحن محتاجون أولاً لتحقيق الوحدة العربية إلى تكريس الوحدة الوطنية ، فإذا كُرِّست الوحدةُ الوطنيةُ ، وقامت على وضعها الصحيح ، وسعينا إلى الوحدة العربية على أيِّ وجهٍ - شريطةَ أن تكون وحدةً عربيةً في ظل الإسلام ؛ كان ذلك نواةً للوحدة الإسلامية الشاملة القادمة .

وإني لأعجب من كثير من الإسلاميين الذين ينادون بالوحدة الإسلامية قبل أن يحققوا الوحدة العربية ، وهل كان هنالك وحدة إسلامية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء الراشدين قبل أن تدخل جزيرة العرب كلها في الإسلام ؟!

فالوحدة الوطنية أساس الوحدة العربية ، وسبل الوحدة الوطنية ثلاثة سبل ؛

أولاً : توحيد العلماء والمفكرين في إطار فكري واحد ، وإذا رأينا هذا أمراً صعباً فإنه يسير على من يسّره الله عليه ؛ إذا قصدنا الإخلاص لهذا الدين ، ولهذه الأمة ، وللعروبة والإسلام ، وذلك بترك المختلف فيه ، والعمل بالمتفق عليه ، وهذا معنى قول أحدهم : (نجتمع فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضُنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) ولا مجال بعد اليوم للخلاف المذموم ، فالخلاف في الرأي لا يُفسد للودِّ قضية ؛ خلاف الأشراف ، خلاف العلماء ، خلاف الفضلاء ، خلاف في الرأي ، والحوار والمناظرات تحلُّ كلَّ هذا .

ثانياً : توحيد الفعاليات السياسية والاجتماعية .

ثالثاً : توحيد الفعاليات الاقتصادية والمالية تحت قيادة عربية إسلامية واحدة .

هذه هي الوحدة الوطنية المنشودة المرتقبة التي ستكون نواةً للوحدة العربية ثم للوحدة الإسلامية ، يقول أحد الحكماء : (لا تستطيع أمة أن تنهض ما لم تُطهِّرها نار العذاب) ، إذاً لا بد من سُبات حتى تكون يقظةً ، ولا بد من تخلُّف حتى تكون نهضة، وليس العار على أمة من الأمم أن تتخلف ، ولكن العار أن تبقى راضية بهذا التخلف ، راضية بالضعف والهوان ، ورحم الله الخليفة المستنصر بالله العباسي إذ يقول: (والله ما ذلَّ ذو حق وإن أطبق العالم كلُّه عليه ، ولا عزَّ ذو باطل ولو اطّلع القمرُ من جبينه أو أطلع القمر من جبينه) .

المبحث الثاني

شروط النهضة في الفرد والجماعة

للنهضة ستة شروط هي :

الشرط الأول : الوعي والإدراك الشامل القائم على العلم الصحيح ، والوعي والإدراك ثمرة العلم الصحيح ، فقد يكون هنالك علمٌ ولكنه ليس بصحيح ؛ كعلم السيمياء ، والشعوذة ، والخرافة ، والتنجيم ، وما إلى ذلك . . . وقد يكون هنالك علم صحيح ولكن ليس له ثمرة ؛ كمن يتعلم ولا يعمل بعلمه ، أو يتعلم ولكن يتعلم الجزئيات ويترك الكليات ؛ يتعلم المهم ويترك الأهم ، فهذا علم لم يثمر وعياً و إدراكاً شاملاً ، قال الله تعالى :) [illegible] ([سورة ق] .

العلم الصحيح الذي يقوم عليه وعي الأمة بأفرادها وجماعاتها والإدراك الشامل يُثمر نهضةً وحضارةً عالميةً ؛ يمكن لها أن تقوم بواجب قيادة العالم نحو الرخاء والسعادة في الدنيا والآخرة ، و يطيب لي أن أستشهد بقصة طريفة حصلت مع عالم مغاربي من المغرب العربي مع "حمّالي بغداد" حين ذهب ذلك العالم المغاربي إلى بغداد عندما كانت في أوج حضارتها الإسلامية ؛ ليُناظر علماءها وليرى مدى قوتهم واقتدارهم في علومهم ، مشى ذلك العالم يوماً في بعض شوارع بغداد وسِككِهَا ، فرأى اثنين من الحمّالَين يحمل كلٌّ منهما متاعاً ثقيلاً في الهاجرة في الصيف ، فأدركهما الإعياءُ ، فوضع كلٌّ منهما متاعه على الأرض وجلسا على جانب الطريق ، وأخذا يتحاوران في قضية (الاستثناء المنفصل والمتصل) .

فقال الواحد للآخر : ترى يا فلان أن ابن عباسٍ الذي يقول بالاستثناء المنفصل غير محقٍّ ؟

فاسترعى حوارُ الحمّالَين انتباهَ العالم المغاربي وأخذ يستمع إليهما ، وقضية الاستثناء المنفصل هي : أن كلمة (إن شاء الله) تُلغي كل الكلام السابق كالعقود والأيمان . . . التي قبلها وما إلى ذلك ، حتى ولو كان طلاقاً وما شاكل ذلك ؛ إذا كانت متصلةً ، وهذا اسمه في العربية استثناء ، اللهم إذا كان قالها بنية الإلغاء والتعليق ، لا بنية التبرّك .

فقال له صاحبه وهو يحاوره : لا يا أخي ؛ ابن عباس يقول بالاستثناء المنفصل ، أي : إذا كان هنالك فاصل أجنبي بين الكلام وبين عبارة (إن شاء الله) فإن (إن شاء الله) تُلغي الكلام الذي قبلها مع وجود الفاصل الأجنبي ، والفقهاءُ والعلماء كلّهم متّفقون على القول بالإستثناء المتصل الذي ليس بينه وبين الكلام الذي يسبقه فاصل أجنبي ، يقولون : إنه يُلغي ما قبله ؛ فمن قال لزوجته : (أنت طالق إن شاء الله) فوراً ، ألغى ما قبله ، ومن بايع إماماً أو سلطاناً فقال : (إن شاء الله) فوراً فقد ألغى بيعته ، لكن الاستثناء المنفصل لم يقل به إلا ابن عباس .

فقال هذا : كلام ابن عباس غير صحيح .

قال : ولِمَ يا أخي ؟

قال : لأن سيدَنا أيوبَ النبيَّ الكريمَ عليه الصلاة والسلام حلف إذا عافاه الله أن يضرب زوجته مائة ضربة ، فلما عافاه الله بعد سنوات طوال أدركته الرحمة بزوجته ، فاستأذن ربَّه فأفتاه اللهُ ؛ قال له : ([illegible]) [الآية44من سورة ص] ، والضِّغثُ هو حزمة من قشٍّ فيه مائة قشة ، فاضرب به ضربة واحدة فهذه ضربة تقوم عن مائة ضربة ، فقد انحلّ يمينُه ، فلو كان كلام ابن عباس صحيحاً لقال الله تبارك وتعالى : (قل : إن شاء الله) ، فالتغى ما قبله ، ولكنه لم يقل له : (قل : إن شاء الله) ، بل قال : ([illegible]) ، مما يدلُّ على أن الجمهور معهم الحقُّ ، وكلامُهم هو الصحيحُ ، ورأيُهم هو الراجح ، وأن كلام ابن عباس رضي الله عنه ليس صحيحاً ، وليس بصواب ، والمجتهد إن أخطأ له أجر وإن أصاب فله أجران .

عندئذٍ بُهِتَ العالمُ المغاربي من حوار هذين الحمالين وهما يتناظران في هذه القضية ، التي تستغلق على كثير من جُلّة العلماء والفقهاء ، فقال في نفسه : إذا كان حمّالو بغداد على هذه الشاكلة من العلم والفقه والوعي والإدراك فما بالك بعلمائها ؟! فرجع من حيث أتى !

هذه القصة تدلُّنا على ما بلغته الحضارة العربية الإسلامية آنئذٍ من وعيٍ وإدراكٍ وعلمٍ صحيحٍ أثمر هذا الرخاءَ ، وأثمر هذه الحقبةَ التاريخيةَ التي ندر أن يُوجد مثلُها ، وقد اعترف بذلك المنصفون من مؤرخي الغرب مثل "غوستاف لوبون" وأمثاله .

الشرط الثاني : الأخذ بمقولات الشرع والعقل معاً ؛ نحن نحتاج إلى الشرع كنـزاً ونظامَ حياةٍ لنا ، ونحتاج إلى العقل مصباحاً نرى به هذه الكنوزَ متعاونَين تارةً ، ومتكافِلَين تارةً أخرى - أي : العقل والشرع - ومتسانِدَين تارةً ، و متكاملَين تارةً ، ومتوازِيَين تارةً أُخرى .

فالشرعُ كُلّيُّ العقل ، والعقل كُلّيُّ الشرع ؛ الشرعُ علمٌ والعقل كاشفٌ ، والعلم بلا كاشف لا يُوصل إليه ، والكاشفُ وحدَه لا فائدةَ منه بدون علم ، ومجمل الكلام أن الشرط الثاني هو الاعتصام بحبل الله المتين ، والتمسك بشريعته الغراء ، والأخذ بدينه وملته ، كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه : ([illegible]) [الآية78من سورة الحج] .

الشرط الثالث : الاعتراف بالغير والحوار معه مهما كان ؛ نحن يجب أن نعترف بالآخرين وأن لا نُلغي الغير ، وهذا من مفاهيم كتاب ربنا قال الله تعالى : ([illegible]) [سورة سبأ] .

فبيننا وبين الغير الحوار ؛ الحوار العلمي الهادئ المتّزن ، القائم على المسلمات العقلية وقواعد المنطق المتّفق عليها بين العقلاء

، فإن اقتنع الآخرون بمقولاتنا فحيَّهلاً ، وإذا لم يقتنعوا فلا مانع أن يكونوا مشاركين لنا في أوطاننا ، مشاركين لنا في بلادنا ، وأن يكونوا مواطنين ، لا مانع لدينا من أن نكون معهم ولهم وبهم ، وأن يكونوا معنا ولنا وبنا ، ما لم يُخامروا علينا أو يُعلنوا الحرب ؛ حينئذٍ يكونون قد خانونا ، والخائن معروفة عقوبته .

وطالما أهل الكتاب يُحبون هذه الأرض ، ويُحبون العروبة ، ويعتّزون بالإسلام ، فهم في جوارهم لنا في حسن معاملة ، وفي جوار طيّبٍ ، فيجب علينا أن يكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، هذا هو الشرط الثالث من شروط النهضة حتى تكون نهضتنا نهضة صحيحة قائمة على أسس متينة . أما إلغاء الغير فيعني في النهاية إلغاء الذات ، وإنني لأنبِّه على ذلك قادة الصحوة الإسلامية - بارك الله بهم -في أنحاء المعمورة ، أنبِّه على ذلك وأؤكِّد عليه ؛ أن يحترموا الغير ، وأن يعترفوا به ، وأن يضعوا له منبراً ، وأن يُجلسوه عليه ، وأن يفتحوا معه الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة - فعن هذا الطريق دخل كثير من أهل الكتاب في الإسلام في الماضي والحاضر ، وسيدخلون في المستقبل - بالحجة القاطعة ، وبالقدوة الصالحة ، وإذا لم يدخلوا فما نحن بمكرهي غيرنا على ديننا ، قال الله تعالى : ([illegible]) [سورة يونس] .

يجب احترام الغير باحترام رأيه ، ويجب احترام حرية المعتقد ، كما يجب احترام حرية الرأي وحرية الإنسان ، واحترام الإنسان في ذاته كإنسان ، وهذا ما جاء به سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم باحترام الإنسانية ، حتى احترام النبات والجماد والحيوان .

الشرط الرابع : الأخذ بالمبادئ العقلية الأربع وهي : التاءات الأربعة :

التوسط والتوازن والتعاون والتكامل ، قال الله تعالى : ([illegible]) [الآية143من سورة البقرة] .

ونحن بحاجة إلى هذه التاءات أولاً في وحدتنا الوطنية ، وثانياً في وحدتنا العربية ، وثالثاً في وحدتنا الإسلامية ، ورابعاً في التعامل مع الغير ، ولا بد أن نتّحد كما اتّحدت أوربا ؛ بعد خصومات طويلة ، لمّا كانت أوربا قسمين بل أقساماً متمزِّقة ، وإذا بها اليوم في طريقها إلى أن تصبح دولةً واحدةً لا يجمعها غير المصالح ، أما نحن فيجمعنا الدين ، وتجمعنا اللغة ؛ اللغة العربية ، لغة القرآن ، ويجمعنا التاريخ ، وتجمعنا المصالح المشتركة ، فلماذا نتفرّق من حيث يتّحد غيرنا ؟!

الشرط الخامس : الحق وقوة الدفاع عن الحق ، قال الله تعالى : ([illegible]) [الآية60من سورة الأنفال] .

وقال الشاعر :

والمبدأ الحق من يعلُق به سهُلت عليه بيضُ العوالي والقنا السُّمُرُ

وأمة بلا حق لا يكون لها استمرار ، وحق بلا قوة لا يكون له بقاء .

الشرط السادس : التخلق بالأخلاق العربية الإسلامية ، وهو أهم الشروط ، وأكثرها خطراً ، التخلق بأخلاق العرب المسلمين وسلوكهم ؛ فالعرب أمّة ذات أخلاق، لم ينـزل عليها القرآن بلُغتها ، وعلى نبيٍّ منها ، من أوسطها حسباً ونسباً ؛ صدفةً ، أو مصادفةً ، أو جُزافاً ، أو سدىً ، وإنما العرب أمةٌ ذاتُ أخلاق في الجاهلية قبل الإسلام ، وجاء الإسلام ليُعدِّل من هذه الأخلاق وليهذِّبَها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[1].

وقال الشاعر العربي :

وأغضُّ طرفيَ إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

و قال آخر :

وأغضُّ طرفيَ إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي الخدرُ

هذا كلام شاعر جاهلي ، وجاء الإسلام فأيّده ، قال الله تعالى : ([illegible]) [الآية30من سورة النور] .

إذاً ؛ الإسلام جاء مؤيّداً للأخلاق العربية لا مُلغياً لها ، مؤيّداً وداعياً ومهذِّباً ؛ كان الكرم قد يُوصل صاحبَه إلى الإسراف ، فجاء الإسلام بالاعتدال والتوسط في كل شيء ، وهذا ما أستطيع أن ألخصه في كلمتين اثنتين الاستقامة والطهارة النفسية ، قال الله تعالى : ([illegible]) [الآية112من سورة هود] ، وما أحوجنا نحن العربَ المسلمين اليوم إلى الاستقامة والطهارة النفسية ، وما أحوجنا إلى أخلاق العرب وإلى أخلاق المسلمين ، وما أحوجنا إلى العفة ، وما أحوجنا إلى طهارة النفس وطهارة اليد ، هذه هي الحضارة الحقّ ، وليست الحضارة قوةً فقط ؛ قوةً ماديةً فقط ، وإن كانت القوة المادية من بعض عناصرها . . .

---

[1] انظر : (السنن الكبرى) للإمام البيهقي10/191 ، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها ، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومثله في (مسند الشهاب القضاعي) وفي (مسند الإمام أحمد) و(مصنف ابن أبي شيبة) : ((صالح الأخلاق)) .

ولقد ذكر لنا التاريخ قصة "أرمانوزا" بنت "المقوقس" بن "راعيل" لما وصلت إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألها عن هذا الجندي الذي أتى بها من مصر ؟

فقالت : يا أمير المؤمنين ما رأيت أعظم منكم ، ولا أكرم ولا أشرف ولا أطهر من هذا الدين ، والله اشتهيت أن أرى بياض عينيه ، والله اشتهيت أن يكلمني كلمة واحدة ، والله ما عرف مني شيئاً ، ولا رأى مني شيئاً ، والله لو كان أعمى لما زاد على ما فعل .

فنظر سيدنا عمر إلى الجندي فرأى عينيه تغرورقان بالبكاء ، وقال : يا أمير المؤمنين أنت الذي علمتنا ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه ، أنتم الذين علمتمونا ذلك أخذاً بقول الله تبارك وتعالى : : ([illegible]) [الآية30من سورة النور] .

المبحث الثالث

معالم المشروع الحضاري الجديد

هنالك مشروع حضاري جديد يقولون عنه : مشروع نهضوي وأنا لا أحب أن أنسب المشروع إلى النهضة ، بل أقول : هو مشروع حضاريّ عربيّ جديد ، تصحبه نهضة - إن شاء الله - بعد تحقّق شروط النهضة يتطلب أموراً عدة تكون معالم له :

أولاً - السعي لبناء نظامٍ عالميٍّ قادمٍ تُشارك فيه نحن العربَ المسلمين ؛ يقومُ على العدلِ بين الشعوب ، والحريات ، ولكن بقيادة العرب المسلمين ، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق نظام عالميٍّ جديد متعدّد الأقطاب ، فلا بد من قيام نظام متعدّد الأطراف ، ولا يجوز بقاء نظام عالميٍّ من قطب واحد ، قال الله تعالى : ([illegible]) [الآية44من سورة الحج] ، فالإسلام قائم على تعدّد الأقطاب ؛ تعدد الأطراف ، فكان هنالك الروم والفرس ، وكان الإسلام في بادئ وجوده في جزيرة العرب ، وكان منذ ولادته وفجر انبثاقه كان محالفاً للرومان ضد الفرس ، قال الله تعالى : ([illegible]) [سورة الروم] ، ولو أن الفرس كانوا يحكمون فقط وحدهم لما قام الإسلام ، قال الله تعالى: ([illegible]) [الآية44من سورة الحج] ، فسخَّر الله الروم للمسلمين وهم في حروبهم مع الفرس ، فكانت النتيجة أن يكون عدوٌّ عدوي صديقاً، وهذه هي السياسة ، والحرب خدعة ، وفي التحالف لمصلحة العرب والمسلمين إتقان لغة المصالح ، فلا بد أن نقيم أحلافاً ، لكن أحلاف مع أصدقائنا الذين يعادون من نعادي، ويصالحون من نصالح ، يسالمون من نسالم ، ويحاربون من .

ثانياً - لا بد من قيام تحالف عربيٍّ ، ثم تحالف إسلامي في تحالف واحد ينتهي بوحدة ، ثم أن يتحالف العرب والمسلمون مع من يمدّهم بالسلاح ، ومع من يمدهم بالرجال ، ومع من يقف معهم في حربهم مع إسرائيل المغتصِبة ، ومَن وراء إسرائيل من الدول العظمى .

ثم لا بد من تحقيق وحدةٍ إسلامية ، ووحدة عربية أولاً ؛ تشبه بادئ ذي بدء "الكمنولث" أو رابطة الدول المستقلة ، ثم تتحول تدريجياً إلى وحدة غير اندماجية ، ثم إلى وحدة اندماجية .

ثالثاً - بقي علينا من معالم المشروع الحضاري الجديد أن نستوعب الأمم والشعوب ، وأن نتعامل معهم على بساط واحد ، وعلى صعيد واحد ، لكن بشرط صدارة العرب والمسلمين وزعامتهم للعالم حينما تقوم نهضتهم الحضارية المرتقبة ، فنحن لسنا متحيزين ولا متعصبين ، وإنما نحن بإسلامنا ملّكنا اللهُ زمامَ

قيادة العالم وقال لنا : ([illegible]
[illegible]) [الآية110من سورة آل عمران] .

وهكذا قاد العرب المسلمون العالم في الماضي إلى الحضارة الإنسانية العالمية ؛ التي يقطف الغرب اليوم ثمارها ، ويعيشون في بُلهنية رخائها ، ولكنهم لا يعترفون بذلك، فلذلك لا بد لنا أن نرجع إلى الإسلام بمفاهيمه الكبرى حتى يُحقِّق لنا ما نصبو إليه من هذه الحضارة ؛ انطلاقاً من وحدتنا الوطنية ، ثم من وحدتنا العربية ، ثم من وحدتنا الإسلامية ، ثم من وحدتنا الإنسانية ، ولا بد لنا أن نُطبِّق تشريع السماء ، ولا بد لنا أن نعترف بأن هذه الشريعة التي أرسل اللهُ بها سيدنا محمداً بن عبد الله النبيَّ العربيَّ القرشيَّ الهاشميَّ العالميَّ الخاتَمَ ؛ هذه الشريعة هي الرحمة التي أهداها الله إلى البشرية .

يقولُ العلامة ابن القيم رحمه الله : (الشريعة عَدْلٌ كلُّها ، رحمةٌ كلُّها ، ومَصَالِحُ كلُّها ، وحكمةٌ كلُّها ، فكلُّ مسألةٍ خرجتْ من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدةِ ، وعن الحكمةِ إلى العبثِ فليست من الشريعة وإنْ أُدْخِلتْ فيها بالتأويل)[1].

نصبو إلى مستقبل زاهر لبلاد الشام ولبلاد العرب مهد الحضارة الإنسانية ، نصبو إلى حضارة يسودها العدل والإحسان والرخاء ؛ تكون رحمة للإنسانية كلِّها ، كما قال تبارك وتعالى : ([illegible]) [سورة الأنبياء] .

أرجو الله أن تُشكِّل هذه المعالمُ والصُّوى التي وفقني الله إليها دليلاً لمن يرغب في التحدث عن النهضة ومعالم المشروع الحضاري الجديد في قادمات الأيام ، وما أحوجنا اليوم إلى هذه المواضيع المهمّة التي يحتاج إليها كلُّ مسلم وكلُّ عربي ، لأننا نحن المسلمين والعرب نعيش في هذه الأيام مشكلات حضارية وتيارات فكرية ، ويجب على كل مفكر إسلامي أن يتحدث عنها ، وأن يبحث فيها عن أسسها وعن علاجها ، كالطبيب الذي يُشخِّصُ الداءَ ويصفُ الدواء ، حتى نفوز بخَيْرَي الدنيا والآخرة ونكون من الفائزين ؛ ([illegible]) [سورة الشعراء] .

[1] انظر : (إعلام الموقعين عن رب العالمين) لابن القيم 3/3 .

المصادر والمراجع

الإسلام وأزمة الحضارة الإسلامية المعاصرة	للأستاذ عمر بهاء الدين
الإصابة في تمييز الصحابة	للحافظ ابن حجر العسقلاني
الجامع الصغير	للإمام السيوطي
الجامع لعلوم القرآن	الإمام القرطبي
الكليات	للكفوي
المعجم الفلسفي	جميل صليبا
المواقف في علم الكلام	للعضد الإيجي
أبجد العلوم	للقنوجي
أساس البلاغة	للزمخشري
لسان العرب	لابن منظور
التاريخ الكبير	للإمام البخاري
الترغيب والترهيب	للحافظ المنذري
التطور : نظرية في أزمة	للعالم البيولوجي "مايكل دنتون"
التعريفات	للجرجاني
السنن الكبرى	للإمام البيهقي
الفتاوى الحديثية	لابن حجر
الفردوس في مأثور الخطاب	للديلمي
الفوائد	للعلامة ابن القيم
المستدرك	للحاكم النيسابوري
المعجم الأدبي	لجبور عبد النور
المعجم الأوسط	للطبراني
المعجم الكبير	للطبراني
المعجم الوسيط	
المنثور في القواعد	للعلاّمة بدر الدين الزركشي الشافعي
الوجيز في أصول استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية	محمد عبد اللطيف الفرفور
إعلام الموقعين عن رب العالمين	لابن القيم
تاريخ الطبري	

تفسير القرآن العظيم	للحافظ ابن كثير
ديكارت	للدكتور عثمان أمين
سنن ابن ماجه	
سنن الإمام أبي داود	
صحيح ابن حبان	
صحيح ابن خزيمة	
صحيح الإمام البخاري	
صحيح الإمام مسلم	
صفة الصفوة	للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي
فتح الفتاح و ثغر النرجس الفواح في علوم الاصطلاح	محمد عبد اللطيف الفرفور
فيض القدير شرح الجامع الصغير	للحافظ المناوي
كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس	للإمام العجلوني الجراحي
مجمع الزوائد للحافظ	ابن حجر الهيثمي
مسند الإمام أحمد	
مسند الشهاب القضاعي	
مصنف ابن أبي شيبة	
معايير الفكر في المنطق	محمد عبد اللطيف الفرفور
مقاييس اللغة	ابن فارس
منهج البحث وتحقيق النصوص	للدكتور يحيى وهيب الجبوري
نوادر الأصول	للحكيم الترمذي